مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية
Tobruk University Journal of Social & Human Sciences
ISSN: 2789-5068
www.jshs.tu.edu.ly

بيئتنا الثقافية صنيعة الإرهاب
قراءة تحليلية في فكر (علي حرب)

Our cultural environment is the Source of terrorism
An analytical reading of thought(Ali Harb)

إعداد

د . حميدة محمد حسين

كلية الآداب- قسم الفلسفة- جامعة سبها

swha36444@gmail.com

المخلص

أن الإرهاب عمل مركب وملتبس يُحارَب على مستويات مختلفة بقدر ما يتغذى من جذور ومنابع مختلفة و متعددة . قد يكون مصدره الفقر أو القهر أو الاستلاب ، وسواها من الحالات و الظروف التي تدفع المرء إلى أن يخرج على الناس شاهرا رشّاشه أو مجاهرا بهويته وثقافته. وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى محاربة الإرهاب على جبهة الفقر بالتنمية الاقتصادية ، وعلى جبهة الاستبداد بالإصلاح السياسي والتغيير الديمقراطي والعمل المدني؛ و على جبهة الأنظمة والقوانين بتوسيع مساحات الحرية و مجالات الحقوق؛ وعلى جبهة الإعلام بتغليب منطق التفكير النقدي والعمل على تنوير الرأي العام وذلك بالكف عن لغة التعبئة والإبادة ، وعلى جبهة التعليم الديني بالعودة إلى مبدأ التقوى و لغة الوسط، للتخلي عن منطق التطرف و التكفير الذي يعدّ أناسا يتقنون استعداء المختلف في الداخل والخارج. ولذا يحارب الإرهاب ، بشكل خاص، على جبهة الثقافة الإيديولوجية التي هي (بيت الداء)، وليس الحصن المنيع كما يعتقد المثقفون العرب. فالبشر هم الذين يصنعون العالم بعقولهم، وأن كانوا في النهاية ضحايا لصنائعهم وأفكارهم .

إذن ما يمكن قوله ، هو العمل على فك الوصاية الحصرية عن القضايا والقيم والهويات، وكسر منطق الوحدانية في التفسير والتحليل وذلك بإلغاء قاعدة الارتداد وإطلاق حرية الاعتقاد، بفتح الهوية على التعددية المشروعة، تعددية التفسير والتأويل أو المنهج والمذهب. إن معالجة العرب بل البشرية جمعاء ، لداء الإرهاب الذي يفتك بالمجتمعات المعاصرة حتى كاد أن يكون جزءًا من الحياة اليومية لا يتم في رأي

(على حرب) الا بنقد الذات لتفكيك الترسانة الرمزية للعقيدة الإنسانية، بأطيافها ورموزها ونماذجها ومعاييرها وتصنيفاتها، إذن فمنبع الإرهاب هو الاعتقاد بوجود قراءة واحدة للمعطيات أو حل وحيد للمشكلات، أو الاعتقاد بأنه وحده من دون سواه يملك الحلول أو قادر على تنفيذها، على هذا المستوى تبدو الحاجة ملحة للتركيب وإعادة بناء العدة الفكرية والمهمة الوجودية ، للعمل على تشكيل مشروعية بشرية جديدة بمبادئها وأطرها وصيغها وقواعدها. بهذا يتفق (على حرب) مع (محمد عابد الجابري) في إعادة النظر في العدة الفكرية .

Abstract:

In Conclusion, We Can that terrorism is at different a structured work that can be work that can be fought levels and it can also be fed from different roots and Sources. Poverty and robbery might be its sources,and Sources. Poverty and robbery might be its sources, and other conditions and circumstances that lead or his identity one to out get fighting people and Culture. This leads to leads to fightinga weaponterroism on itspovertyrobberyside by using economic development. On its side by political reformation, democratic change and civil work. On the side of systems. and rules, terrorism can be fought by the expansion of freedom. and the areas of rightness .On the side of media, it can be fought by logical critical thinking and the work for lightening the public opinion. On its religious educational side, terrorism can be fought by returning back to the principle of takkwaand mediation language to get rid of terrorism which makes people ready for fighting different persons inside and outside.

Therefore, terrorism is fought, particularly, on its Indie logical culture which is the source of terrorism "Bait Aide" and not the strong castle as the in tell actual Arabs think of it. Human people the ones who make the world by their minds, although they are victims to their ideas and are at the end thin king. Opens Therefore, what can be saidis that the solution.

is the work for refusing the exclusive thinking .for the issues, Virtue and identities and break ingrown the Oneness logicforinterpretation and analysis. This can be done by cancelling the coming back of database and the release of the freedom of thinking that the identityfor logic multiplicity, interpretation multiplicity or Man haj and Madhab .Not only Arabs but all humanity can give remedy to the source ofterroism Bait Aide" that destroys the contemporarysocities

.Almostterroismbecomes part of daily Tife. According to Ali He., this can be made by self Eriticism to get rid of symbol thinking for humanity faith by all its syabetsmi models and Criteria. Therefore, the source of terroism is the thought that there is one reading for the criteria and only one solution for the problems, or the thoor the thought that it is one thing that has the solution and the one which can be able to do it. On this level, there is an important necessity for the structure and the re structure of intellectualism and the existent talisman portance to work for forming new humanity

with its principles, forms and rules. Thus, Ali with Mohammed Abed Aljazeera to rethink of intellectual mechanism

المقدمة

إن المهمة القائمة على إنتاج الأفكار الحية ذات الخصوبة المعرفية والقائمة على استحداث المفاهيم العصرية ، وتحريك المعادلات وكسر اليقينيات التلقينية ، والتخلص من هيمنة الثقافة الغيبية وقداسة المعارف التراثية لن تكون سهلة على مَن أخذ على عاتقه انتهاج هذا المسلك التحليلي العقلاني والنقدي والتداولي مع الأفكار و منتوجات الحداثة الفكرية ولذلك ستلقى كل هذه التحولات التنويرية والفلسفية ذات الفاعلية التغييرية رفضاً ومقاومة وتعنيفاً من قِبل أولئك الذين اعتادوا على عدم البحث عن المشكلة والعلة في أفكارهم ويرفضون بالتالي التوجه المباشر لتشخيص الأمراض التي تستوطن ثقافتهم ويمتنعون عن مجرد التفكير في أن المسألة تحتاج إلى نقد الثقافة من الداخل ومعرفة مواقع الخلل فيها ، وكذلك تلْقى الرفض من قِبل أولئك الذين لا يريدون تحمل مسئولية فشل أفكارهم وثقافتهم ، في التماهي المنطقي والعقلاني والتداولي مع واقع الحياة العصرية ، وكذلك من قِبل أولئك الذين يعتقدون أن إتاحة الفرصة للفكر التحليلي العقلاني الفلسفي في الانتشار والتوسع والتمدد ذلك لأن ثوابتهم ستتعرض للمس ، وتراثهم للتفكيك ومعتقداتهم للنقد والمساءلة ،لقد سادت الثقافة المريضة المكبلة بالجمود والقدرية والانغلاق وتراكمات التفسير التلقيني الماضي ، وتبعًا لذلك ظهر على السطح الفكر التعنيفي الأحادي الذي أدى في عالمنا الإسلامي إلى العنف و الإرهاب ونبذ الآخر ، ولم يُلتفت إلى جذر المشكلة التي وراء هذا الفكر التخريبي المدمر المريض ، إن أي فكر هو في النهاية صنيعة بيئة ثقافية ، تتشكل من خلال التأثيرات المباشرة للتراث والتاريخ والمقولات والتفسيرات ، والعقول المنتجة لها والسائرة في ركابها ، والمبتعدة عن تشخيص العلة وظواهر الخلل ومواطن الفساد وجذور الهلاك ، إن المشكلة تكمن أساسًا في هذا الجانب ، في القوالب المعرفية الثقافية الصانعة لهذا النوع من الوعي الجمعي والصانعة للنماذج الفكرية التي تنتجها باستمرار المدارس الدينية الأصولية ، من خلال ثقافات التلقين والتعليم المشبع بنبرة الأفضلية ومنطق الحاكمية المالكة للحقيقة المطلقة ، وتتغافل تلك المجاميع الدينية عن حقيقة قاسية تتمثل في أن المشكلة تكمن في هذا الجانب بالذات الذي تدافع عنه وتسعى إليه وترفض تشخيص أمراضه ومشكلاته وآفاته ، فالفكرة –أية فكرة– لا يمكن اعتماد صحتها في المطلق ، ولا يمكن أن تحمل صحَتها بمجرد أنها فكرة أخذت طريقها في التداول بين المجتمع ، بل الفكرة يجب أن تحمل دومًا في مكوناتها الداخلية فاعلية الخصوبة ، وتكون نابضة بالحيوية وخلاقة في إبداع الأنماط التداولية ، التي تساهم في خلق مناخات عقلانية للحوار المثمر التبادلي ، الصانع لدوائر اجتماعية حرة ، تتداخل فيما بينها بروح تتسم بالتعايش والانفتاح وقبول الآخر ، وتسعى إلى تكوين مسارات معرفية متجددة وفاعلة وتتبنى الإمكانيات الجادة لإيجاد صيغ تعايشيه تتفاهم ولا تتناحر، تتوحد ولا تتشتت وتلتقي في نقاط المشترك الإنساني ، وفي هذه الدراسة سنقوم بأخذ نموذج من المفكرين العرب المعاصرين وكيفية قراءتهم للبيئة التفافية وانعكاساتها على الواقع وخاصة في صنع الإرهاب متمثلة في المفكر اللبناني (على حرب) .

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في التركيز على انعكاس القراءات في الفكر الغربي المعاصر على الفكر العربي ، و مدى استفادة (على حرب) من هذه المناهج والقراءات في قراءة تراثنا العربي الإسلامي .

المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي ، و المنهج النقدي في تقييم الممارسات النقدية للمفكر موضوع

الدراسة ، وبناءا عليه قسمت هذه الدراسة إلى :

1- مقدمة .

2- نبذة عن حياة (علي حرب) وبعض مؤلفاته .

3-بيئتنا الثقافية صنيعة الإرهاب قراءة (على حرب) التفكيكية للواقع .

4- الدراسات النقدية لـ(على حرب) .

5- خاتمة .

6-قائمة بالمصادر والمراجع .

نبذة عن حياة المفكر على حرب .

اهتم (علي حرب) وهو من مواليد 1939 بالكتابة وشؤونها ، و اشتغل على الأفكار ، حيث اهتم بنمط التفكير و شكله ، كما اهتم بطرق إنتاج الأفكار و كيفية التعامل معها حيث يقول : ((إنني أمارس التفكير كفاعلية نقدية أو انخرط في الفلسفة النقدية و أوظف مكتسباتها المعرفية و المنهجية ، الحديثة و المعاصرة في مباحثي و كتاباتي))(1) يعد (علي حرب) أحد النقاد العرب ، خاصة وأنه انتقد المشاريع النقدية للنقاد العرب المعاصرين ، ونقده لا يجري في إطار مشروع ثقافي شامل ، مثل(مطاع صفدي)(*) ، وسواه من أصحاب المشاريع الفكرية . إن ما يفعله (علي حرب) يقدم نموذجًا نقديًا لقراءة لا تختص بفرع من فروع المعرفة ، أو أن يحلل نصًا من النصوص ، أو أن يفكك مقولة من المقولات وهذا لا يعني أن شغله كان في إطار الساحة العربية فقط ، أو في محيط التراث الإسلامي ، بل انفتح على مختلف الساحات الثقافية ، و اعتبر نفسه مَعْنيًا بنتاجات الفكر ، أيًا كان مصدرها : ((أقرأ النصوص بصرف النظر عن انتماءات أصحابها اللغوية أو العرقية أو الدينية و أتعامل مع أعلام الفكر على قدم المساواة ، ساعيًا إلى التحرر من تبعيتي إزاء القدماء والسابقين ، أو التخلص من دونيتي إزاء المحدثين و المعاصرين))(2) يتبين لنا من النص أن (علي حرب) اشتغل على مختلف النصوص و مختلف الأعلام و لم يقتصر شغله على ساحة دون أخرى أو على عَلم من المفكرين دون آخر وإنما قرأ النص العربي والغربي قراءة مثمرة ، فهو على سبيـــــــل المثال لم يعتبر(ديكارت)* (هيدجر)(**) فضلا عن (أفلاطون)( )***و(أرسطو) ****.

يختص بهم المثقف الغربي أكثر مما يختص هو بهم ، من هنا لم يَعد (علي حرب) يهتم بمثل هذه الأسئلة كيف نتعامل مع التراث ؟ أو كيف نقرأ أعلام الفكر العربي ؟ أو كيف السبيل إلى تحديد الفكر الإسلامي ؟ بل ثمة أسئلة أخرى رآها (علي حرب) أكثر أهمية مثل ، كيف نقرأ النص ، أي نص كان ؟ أو كيف نتعامل مع الأثر الفكري عمومًا ؟ أو كيف نتعامل مع

أفكارنا ؟ أو ما الصلة التي نقيمها بيننا وبين فكرنا أو بين فكرنا و الحقيقة ؟ : ((المهم هنا أن نعيد التفكير فيما جرى التفكير فيه من قبـــــل ، لنعرف كيف تتشكل الموضوعات أو لنعيد صياغة الإشكالات))(3) كأن نتساءل مثلا حول مسألة التجديد الفكري التي طرحها المفكرون العرب على أنفسهم في مواجهة الحدث الغربي ، و التفكير على هذا النحو يحرر (علي حرب) من وساوسه التراثية و تفكيك هواجسه الدينية أو العرقية سعيًا منه للفصل بين الهم الإيديولوجي و الهم المعرفي ، و النقد كفاعلية فكرية يرمي إلى الكشف والتعرية ، كشف آليات السيطرة و تعرية وجوه التقديس و التنزيه و الاسطرة للأفعال الإنسانية والدنيوية ، بمعنى آخر فضح الألاعيب و الاستراتيجيات التي يتستّر وراءها اللاعبون على هذا المسرح ، مسرح الحياة و المجتمع . و لا يشذ عن هذا المثقفون والكتاب الذين يدّعون بأنهم رسل الحقيقة و حماة الحرية . فهم أيضًا ممثلون بارعون ، يموهون أدوارهم و يختبئون وراء كتاباتهم . و بهذا المعنى لا يستهدف النقد الممنوع فقط ، أي السلطات ، أكانت سياسية أم دينية ، مادية أم رمزية ، و إنما يستهدف أيضًا و على وجه الخصوص أنظمة المعرفة و آليات الفكر و أبنية الثقافة : ((إذا كان المثقفون غالبًا ما يركزون نقدهم على الممنوعات و المحظورات المفروضة من الخارج ، فإن المفكرين يتوجهون إلى الداخل ، أي إلى منطقة الممتنع على التفكير ، داخل الفكر ، لكي يجعل اللامعقول مفهومًا ، أو يفسروا ما نعجز عن تفسيره))(4) يتضح لنا من النص السابق الفرق بين المثقف و المفكر ، فالأول يرفع صوته أو يستخدم قلمه للدفاع عن الحريات المنتهكة ، و أخصها حرية التفكير و التعبير . أما الثاني يقتحم المناطق المستبعدة من نطاق التفكير ، لكي يجعل الممتنع ممكنًا ، والصعب قابلاً للتناول . ويريد (علي حرب) من المثقف أن يكون مفكرا ؛ أي أن ينتقل من جبهة الممنوع إلى جبهة الممتنع ، فبدلا من النضال من أجل الحريات عليه أن يحرر تفكيره من إكراهاته ، و لكن السؤال الذي يُطرح هنا هل بالمستطاع تحرير التفكير من دون خلق مناخ موضوعي للفكر ؟ هل إن الفكر ينشأ حرًا لذاته ؟ باختيار من يفكر ، من دون التأثيرات الحاسمة لشبكات القوى الفاعلة والتي يجد المفكر نفسه عالقًا فيها ؟ أليست ثمة محددات اجتماعية وسياسية وحضارية تتحكم بعملية التفكير بالإضافة إلى الآليات الداخلية للعقل المفكر والتي هي نتاج عوامل موضوعية أيضًا ؟ إن الزحزحة التي يرتبها (علي حرب) لمفهوم المثقف لا تنقل المثقف إلى موضع اشد فاعلية ، وإن بدأ الأمر كذلك للوهلة الأولى ، فهو الذي يريد للمثقف أن يكون ذا نظرة نقدية يراجع أفكاره وثوابته باستمرار ، وأن يكون وسيطًا بين الفاعليين الاجتماعيين الآخرين ، وقد كشف دور المثقف العربي المعاصر وهو دور سلبي ؛ لأنه يهمل المعرفة بالواقع ، ومن ثم ممارسة سلطته من خلال هذه المعرفة ، لأن المعرفة التي لن تفهم الواقع بذلك لن تغيره ، لأنها ستبقى رؤية في الإنسان والمجتمع و الكون والتاريخ ، وأن يتخلى عن أي مشروع ، وعليه لا يحدد منظورًا بشأن المستقبل ، ولن يكون داعية لقيم الحب والخير والجمال ، و هو يبرز نفسه حاميا الهوية الثقافية لأمته وقيمها . وهو يمارس دورًا نخبويًا : ((ذلك أن المثقفين بالمعنى الذي استخدمته في هذا النقد ، أي بوصفهم حراس القيم المتعلقة بالحقيقة والحرية والمساواة والهوية ، ليسوا هم الذين ينتجون الثقافة ، بقدر ما ينتجها الفاعلون الثقافيون أنفسهم ، وأعني بهم المنتجين في مختلف ميادين الأدب والفن والعلم والفكر ، فضلا عن العامليين في المؤسسات التربوية والأكاديمية وخصوصًا المؤسسات التلفزيونية حيث الصورة المرئية تتقدم على الكلمة المكتوبة في صناعة الرأي وفي تشكيل مخيال البشر))(5) والنقد الفعال لا يأتي من فراغ ، و إنما يأتي من الدخول على

قضايا الفكر من مداخل جديدة ، و هذا ما فعله كبار النقاد أمثال (هيدجر) و غيره من الفلاسفة ، فكل واحد منهم افتتح حقلاً جديدًا للتفكير ، أو استخدم منهجًا مغايرًا في الدرس و التحليل ، أو استثمر أدوات مفهومية أكثر فاعلية . بهذا لا يدور النقد في حلقة مفرغة ، و لا يكون مجرد شرح أو شرح للشرح بل أصبح مجالاً لمعالجات جديدة مثمرة و مبتكرة . و يمارس النقد اليوم من خلال افتتاح حقل يدرس الخطابات وهي:((المنطوقات التي لا تكف عن إنتاجها و تداولها أو تدوينها))(6) كان التعامل في السابق مع النص بوصفه مرآة تعكس المعنى و مؤلفه ، بعد ذلك تحول النص من أداة إلى منطقة وجود تحمل رموزًا و إشاراتٍ ، لقد تحول إلى عالم له تشكيلاته و أبنيته ، أو حيز له خرائطه و طبقاته ، بل حدث لا يتوقف عن توليد آثاره و مفعولاته .

هكذا أصبح الخطاب ميدانًا مستقلاً لإنتاج معارف جديدة تحملنا على إعادة ترتيب علاقتنا بالمعرفة و الحقيقة ، بالفكر و القراءة : فلم يعد النص مجرد راوٍ للحقيقة ، بل أصبح منتجًا لها ، و لم يعد مجرد خبر عن الوقائع ، و إنما غدا واقعة تفرض نفسها على القارئ ، هذه العلاقة الجديدة مع النص هي ما سماها (علي حرب) بـ(الوقائعية)(****) ومن هذا المدخل دخل (علي حرب) على نقاد العقل لكي يبين أن خطاب النقد يتناسى ذاته و يسكت على حقيقته ، منتقلاً من نص النقد إلى نقد النص ، ففي الأول غالبًا ما جرى التعامل مع العقل كجوهر ماورائي (ميتافيزيقي) يتعالى على أفعال الكلام و آليات الخطاب و أبنية النص . أما الأمر في الثاني فيختلف ، بمعنى أنه لا انفكاك للرؤية عن العبارة ، بل ثمة دومًا ما لا نراه فيما نتكلم عنه ، أو ما لا نتكلم عنه فيما لا نراه ، ذلك أن النص هنا ليس مجرد عاكس للمعنى ، بقدر ما هو عالم من الدلالات ، متعدد الأبعاد مختلف السياقات متراكب الطبقات . إنه ليس مجرد سطح لا بعد له ، بل وسط فكري أو بيئة مفهومية أو مفترق للحقائق ، من هنا تختلف قراءة النص باختلاف أشكال مقاربته و أنواع التعاطي معه .(7)

مؤلفات (علي حرب)

تنقسم مؤلفات (علي حرب) إلى قسمين اثنين : مؤلفات ما قبل كتابه حديث النهايات ، واتجه في هذه الكتابات إلى نقد النص باعتباره فضاء واسعًا للفعل الإبداعي والفكري والنقدي و أيضًا إلى الذات الناقدة كذات فاعلة منتجة للحقيقة . وهذه المؤلفات هي :

1. مداخلات . دار الحداثة ، بيروت ، 1985 (التأويل و الحقيقة) . دار التنوير بيروت ، 2007 .
2. الحب والفناء . دار المناهل ، بيروت ، 1990 . (لعبة المعنى) . المركز الثقافي العربي ، بيروت 1991 .
3. أسئلة الحقيقة و رهانات الفكر . دار الطليعة ، بيروت ، 1994 .
4. النص والحقيقة بأجزائه الثلاثة . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1995 .
5. (خطاب الهوية) . دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1996 .
6. أوهام النخبة . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1996 .
7. الاستلاب و الارتداد . المركز الثقافي العربي ، 1997 .

8. الفكر والحدث . دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، 1997 .
9. الماهية والعلاقة . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1998 .
10. – حديث النهايات. المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2000 .

و مؤلفات ما بعد كتابه حديث النهايات هذه المؤلفات التي فتح فيها طريقًا جديدًا للنظر والقراءة بنفس الأدوات و الآليات التي اعتمدها في إنتاج النصوص ، فقد احتل الواقع فضاء الفعل الإبداعي كمادة منتجة وميدان القراءة و الفهم ، وهذه المؤلفات هي :

1. سياسة الفكر بجزئية . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2001 .
2. العالم و مأزقه . المركز الثقافي العربي بيروت ، 2002 .
3. أزمنة الحداثة الفائقة . المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2005 .
4. الإنسان الأدنى . المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2000
5. هكذا أقرأ . المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2005 .

و ترجم كتابي :

1. مارسيل غوشيه و بيار كلاستر . اصل العنف و الدولة . دار الحداثة ، بيروت ، 1985 .
2. فرنسوا جاكوب . منطق العالم الحي . مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1989 .

كما له إسهامات في العديد من المجلات والصحف ، نذكر من المجلات : مجلة (العربي) ، (الدراسات العربية) ، (عالم الفكر) ، (والفكر العربي المعاصر). أما عن الصحف : صحيفة (السفير) و (الشرق الأوسط) .

قراءة علي حرب التفكيكية للواقع .(قضية الإرهاب) :

يحتمل النص أكثر من قراءة، بحيث تختلف القراءات وتتفاوت من حيث علاقتُها بموضوعاتها وبالمواد التي تعمل عليها. وما يقال على النص يمكن قوله على الحدث، من جهة أنه لا يُقرأ قراءةً وحيدة الجانب أو الدلالة أو الوجهة، كبنية مقفلة أو سلسلة محكمة أو حتمية صارمة، وإنما يُقرأ بوصفه منبع إمكاناته، بقدر ما يُعامَل من حيث تداخُلُ مستوياته وتراكُبُ طبقاته، أو من حيث تعددُ أبعاده وتفاوتُ سرعاته، أو من حيث صيرورةُ هويته وحِراكُ معطياته. ولذا فهو يحتمل أكثر من قراءة، بقدر ما هو حصيلة لما لا يتناهى من الظروف والحيثيات والانفعالات والتصورات والمفردات التي كانت تتجمع وتتراكم أو تعتمل وتتفاعل لكي تسهم في إنتاجه وانفجاره . قرأ (على حرب) بعض قضايا الواقع بنفس الأدوات والآليات التي اعتمدها في إنتاجه للنصوص ، من هذه القضايا قضية الإرهاب التي كادت تطغى ولازالت على المشهد العالمي لكي تحيل الكرة الأرضية إلى بؤرة للتوتّر و الفوضى .

العنف ليس بجديد ، و إنما هو قَدَر البشر ، بل داء البشرية الذي لم تستطع معالجته و الحد من انتشاره ، و إن كان

محدودًا نسبيًا في الماضي إلا أنه استفحل وزاد حدة في عصرنا الحاضر ، بالرغم من دعوات التسامح الديني وعهود التنوير الفلسفي و تكاثر الخطابات وتناسل المنظّمات الداعية إلى احترام حقوق الإنسان . والإرهاب كدرجة أعلى من درجات العنف بات اليوم الهاجس المقلق و المربك ، خاصة بعد التفجيرات الأخيرة ، في (أمريكا) ، التي ادعت أنه نتيجة منظمات إرهابية ، و ما عقب ذلك من تداعيات سلبية طاولت شظاياها مختلف أنحاء المعمورة ، وبصورة تحول فيها نظام العالم و العلاقات البشرية ، إلى حالة طوارئ كونية .

منذ تلك الفترة و قضية الإرهاب هي الشغل الشاغل للحكومات و هيئة الأمم و مؤسسات المجتمع المدني ، كما تشهد المؤتمرات(*****) والندوات التي تعقد لمناقشته ومعرفة أسبابه و مكافحته ، و السؤال المطروح هل نجحت تلك المؤتمرات في محاربة الإرهاب وتجفيف منابعه ؟ و للإجابة على هذا السؤال في رأي (على حرب) أنه لابد من الوقوف أولا عند مفهوم الإرهاب و تفكيكه : ((و إذا كانت مشكلة كل شيء تكمن في مفهومه بالذات ، فإن بداية العلاج تقوم على تشخيص الداء ، بالعمـــل على تفكيك مفهوم الإرهاب ، للكشف عن بنيته الفكرية و تبيان آليات عمله))(8) يتضح من النص أنه لعلاج قضية الإرهاب لابد من الوقوف على الآليات التي تعمل من ورائها ، إن (الإرهاب) عنف شامل فهو لا يرحم شيخًا و لا صغيرًا و لا يراعى الأشهر الحرم و الأماكن المقدسة : ((الإرهاب عنف فاحش لأنه يرمي إلى إحداث أكبر قدر من الخسائر في الأرواح و الممتلكات ، وبأفظع الوسائل ، لكي يترك الأثر الأقوى و الابلغ في النفوس ... فلا يوجد بالنسبة للإرهابي أمكنة حرم أو أزمنة حرم ... بالعكس هو ينتهك كل الحرمات ويدوس على كل المقدسات . وقد يفعل ذلك باسم الدفاع عنها كما نسمع أو نقرأ))(9) يستخدم الإرهابيون اليوم الإعلام المرئي للتعبير عنوة عن جرائمهم ، كبث صور قطع الأعناق و تقطيع الجثث في الشاشات و على مرأى من الناس . فبالنسبة للإرهابي لا توجد أمكنة مقدسة أو أزمنة حرم ، و لا يقيده وازع أو رادع في ممارسته لعنفه الجهنمي، إنه ينتهك جميع الحرمات و يدوس على كل المقدسات في ظل الدفاع عنها . وتلك هي الأكذوبة ، فلا يدمر القيم و المعاني أكثر من حراسها و الأمناء عليها .

لا وجود لأبرياء في نظر الإرهابي ، إذ يعتبر أن الناس كلهم مسئولون عن مأزقه أو بؤسه أو فشله ، بهذا يصبح الجميع ، بأرواحهم و أجسادهم و عائلاتهم و ممتلكاتهم ، رهائنًا لمشروعه و خططه ، الأمر الذي يسوّغ له الانتقام منهم ، بإتخاذهم هدفًا للتهديد و الإعتقال أو القتل ، كما يحدث في حالات خطف الطائرات أو تفجيرات المقرات الرسمية أو الأماكن العامة المكتظة بالأبرياء من الناس ، فالإرهاب : ((عنف أعمى لأنه لا يميز بين مذنب و بريء أو بين مدني و عسكري أو بين آمن و محارب ، على ما هي الحال في الحروب التقليدية ، أو بحسب ما تنص عليه القواعد المعروفة : لا يؤخذ البريء بجريرة المذنب)) (10)و هكذا فشعار الإرهابي إما المماهاة أو الحرب ، إما الخضوع و الامتثال أو الإقصاء و الإلغاء .

و كما يعني الإرهاب عند (علي حرب) : ((عنف فائق بقدر ما يستخدم السلاح الأقصى ، أي المـــــوت ، كمـــا في العمليات الإنتحارية ، حيث الإرهابي يستخدم جسده وأجساد الآخرين كأدوات للتفجير و الترويع أو للخطف و التعذيب))(11) و هذا ما نشاهده شبه يوميا على شاشاتنا سواء في (العراق) أو في (لبنان) كما حدث مع (رفيق الحريري) ،

أو في (الجزائر) و غيرها من دول العالم ، مثل (أفغانستان) الذي قام احد الأشخاص بتفجير نفسه و هو صاعد في أحد الحافلات الناقلة لشرطة أمن الدولة وبعض الموظفين مما أودى بحياة العشرات من الركاب، وقد حصل هذا بالتحديد في 2 / 10 / 2007 ف وتبنت حركة طالبان هذا التفجير كعاداتها في تفجيرات سبقت بحجة الدفاع عن الإسلام ، ومحاولات الانتحار الجماعي التي نفّذتها منذ سنوات فرق عقائدية جديدة احتجاجا على نظام العالم ، كما جرى في (اليابان) أو (الولايات المتحدة الأمريكية) ، وما نشهده اليوم على الاراضي الليبية في اخر قضية عرضت على الشاشات وهي ذبح المصريين الاقباط على شاطئ البحر .

إذن ليس للإرهاب هدف أو مطلب محدد ، وإنما هو : ((عنف له طابعه العدمي خاصة عندما يمارس من غير أهداف أو مطالب ، بحيث لم يعد خروج على النظام أو انحراف على الطريق القويم ، بل يُجسّد انفجار منظومة القيم أو أنظمة المعنى ، بقدر ما يتحوّل إلى موقف سلبي أو عدواني من العالم و الزمن و البشر))(12) يجسد الإرهاب في هذه الحالة أزمة هوية بقدر ما يصدر عن وعي مأزوم يحمل صاحبه إما على الانتحار الجماعي ، احتجاجا على نظام العالم ، أو على تلغيم هذا النظام بقصد تفجيره و تدميره .

و هكذا فإن الإرهابي لا يُحسن سوى تدمير ما يدعو إليه . و إذا كان الفيلسوف الفرنسي (جان بودريار) يعتبر أن أحداث سبتمبر هي انفجار للنظام العالمي أو للمنظومة الغربية ، كما يعتبر أن الولايات المتحدة الأمريكية بحربها على الإرهاب بالشكل الذي تفعل ، إنما ترتد على ذاتها و قيمها بالطعن و التدمير كما علّق على أعمال التعذيب في سجن (أبو غريب) ، فإن (على حرب) يرى أن ما قام به الذين وقفوا و راء تلك التفجيرات من عرب و مسلمين ، ليس دفاعا عن الهوية و الخصوصية كما فسر ذلك (جان بودريار) و إنما هو أيضا : ((تفجير للمنظومة الإسلامية بقدر ما يعني ارتداد الجهادي على قيمـــــــــه و تعاليمه بالطعن و التدمير))(13) إذن نحن أمام وجهين لعملة واحدة ، فـ(أسامة بن لادن) في تفكيره و مشكلاته وهواجسه ثمرة لثنائية التراث والمعاصرة ، من هذا المنطلق يمكن الدخول على الإرهاب الذي تمارسه المنظمات الجهادية الإسلامية ، للقول بان الإرهاب ينبع من أزمة الهوية و المعنى : ((علينا أن نقر بإن المسلمين أنفسهم قد أسهموا أيضا في ربط الإرهاب بدينهم فعلى خلاف الحركات الإرهابية الأخرى التي لا تطلق على نفسها مسميات تتعلق بالدين ، فإن أسماء العديد من المنظمات الجهادية الإسلامية – مثل حزب الله والجماعات الإسلامية – ترتبط جميعها بالإسلام . وعادة أيضا ما يتمثل هدف تلك الجماعات في إنشاء (دولة إسلامية)))(14)) يكشف النص أن اقتران المسلمين بالجهاد والسلاح والعنف قد أزداد تأكيدًا عندما ارتكبت أعمال الجهاد العنيفة والمذابح باسم الإسلام صراحة وهذا مرض من أمراض الهوية المصابة في معناها وقيمها وفي ثوابتها ومألوفاتها من منظومات الاعتقاد ونظم الحياة أو صيغ العيش .

يختلف الإرهاب الذي يمارسه اليوم الجهاديون الإسلاميون ، عن الإرهاب الذي كان ناشطًا في مرحلة ازدهار حركات التحرر الوطني والاجتماعي أو السياسي حيث كان الفقر و القهر يعتبران الحافز والمحرك للإرهاب : ((نحن نواجه نسخة جديدة من الإرهاب الأعمى ، تمارسه الأصوليات في هذا العصر الكوكبي المعولم ، حيث تتّسع وتتضاعف إمكانات الاتصال و الانتقال والاختلاط والتبادل بين المجموعات البشرية ، بقدر ما تتعاظم حركة الثروات والثقافات والمعلومات العابرة لحدود

الدول والقارات . وهكذا فالعلة في ما يحدث الآن ليست في الجيوب ، بل في العقول))(15) تكمن العلة الرئيسية وراء ذلك الإرهاب الأعمى في العقائد المغلقة والمنازع النرجسية ، في الدعوات المستحيلة والنماذج البائدة ، في عقدة المماهاة مع الذات وجرثومة التضاد مع الغير، وهنا بيت الداء وأصل المشكلة في نمط التعامل مع الهوية . ولذا فالسلوك الإرهابي وفقا للنص يفسر على أنه ينبع في النهاية من صميم الاعتقاد و يُجسد ثوابت الهوية وقيم الأصالة. و ليس مجرد احتجاج على القهر والاحتلال والظلم ، ولا هو مجرد عنف تمارسه شرذمة من الناس منحرفة عن الصراط المستقيم ، بقدر ما هو موقف سلبي ومعادٍ من الوطن والدولة أو المجتمع والمدنية أو الناس والعالم .

نحن إزاء آفة أو ظاهرة متفشية ألا وهي ثمرة الثقافة الدينية الرائجة بمرجعياتها ورموزها وتعاليمها ، كما هي بخطاباتها و فتاويها وأحكامها ، ما من شك في أن الإرهاب يخطط له سرًا وفي الظلام ، ولكنه يشكل الوجه الآخر لثقافة دينية خاطئة تسهم في إنتاجه وتعميمه . وهي ثقافة متحجرة ، أحادية ، عاجزة ، فقيرة ، عدوانية ، استبدادية ، كما تجري ممارستها وتُستنسخ أو تُعمَّم نماذجها ، تحت سمع الحاضرين وأبصارهم ، في المساجد والمدارس ، أو من على الشاشات والقنوات ، عليه فان معالجة الإرهاب تقتضي العودة إلى جذور المشكلة التي نهرب من مواجهتها ، فمثل هذه العملة الرمـــزية العقائدية ببنودها(******) ومقرراتها: ((لم تعد تصلح للاندراج في هذا العالم والعيش فيه بصورة سوية أو التعاطي معه بصورة ايجابية و بنّاءة ، بالعكس إنها تصنع الإرهاب بقدر ما تردد على أصحابها وعلى المسلمين ، خسائر ومهالك وكوارث))(16) يؤمي النص أن كل من يدعي احتكار المصداقية والمشروعية ، ليفرض وصايته على الناس ، سواء أن رفع شعار الله ، أم الإسلام ، العقل ، أم الحداثة ، إنما يفكر بصورة إرهابية تبدأ بالتمييز والإقصاء ، وتنتهي بالعنف والإرهاب . وهكذا فما يحسبه الكثيرون من الدعاة و السّاسة الحل هو في الحقيقة المشكل . ولا عجب في أن يكون المآل على هذا النحو هو البؤس والرعب . فـ(أسامة بن لادن) و (الزرقاوي) وبقية الذين يشتغلون بصناعة الإرهاب هم أكثر صراحة وانسجامًا مع ما يؤمنون به و ما أعدوا له ، من الذين اشرفوا على تعليمهم وتلقينهم من الأئمة والعلماء والمرشدين وسائر الدعاة . تلك هي المفارقة الفاضحة . يرى (على حرب) أن آلة الخراب والهلاك هي من نتائج عقولنا وتعليمنا الديني وجهادنا في خدمة العقيدة والدفاع عن الهوية . بهذا فالتعصب لا يمارس من خارج الدين أو ضد مبادئه ، بل هو صناعة دينية ، تمامًا كما أن الإرهاب ليس خططا شيطانية بقدر ما هو صناعة بشرية : فـ((إذا كان الإرهاب كما يمارسه الجهاديون ذو جذر ثقافي وإيديولوجي بالدرجة الأولى ، فإن مكافحته تقتضي العمل على الذات والمعتقدات و المؤسسات لإجراء تحوّلات تطال بنية الثقافة ونماذجها بقدر ما تطال ثوابت الهوية وعناوينها ، وتمس برامج التعليم ومناهجـــــــــه بقدر ما تمس قنوات الإعلام وسياسته))(17) إذن يقتضي الأمر الانخراط في عمل نقدي يقوم على تفكيك ما تصنع العقول المفخخة و الذاكرة الموتورة ، أي فتح العلبة السوداء التي تصنع الوحش الإرهابي بلغتها وعقدها وأساطيرها وأوهامها وتصنيفاتها وتبجّحاتها وعدوانيتها و حل هذه القضية عند (على حرب) يكمن في وجوه متعددة :

1-كسر النرجسية الثقافية والدينية ، وذلك بالعمل على تشكيل قناعات جديدة فالإيمان ليس حكرا على أحد و لا مفاتيح الهداية و السعادة ملكًا له. وهذا يقتضي على مستوى أساسي التوقّف عن استخدام مفردات العصور الوسطى والحروب الدينية

أو الفتن الطائفية ، في التعريف والتقييم والتصنيف ، مثل الكفر والشرك أو الغربي والصليبي ، وسواها من المصطلحات التي تستعدي المختلف في الداخل و الآخر في الخارج ، بقدر ما تصدر عن معتقد اصطفائي عنصري و أساسٍ لوعي إرهابي لكي تدمر صيغ التعايش بين المسلمين ثم بينهم وبين بقية العالم : فـ((الأجدى إعادة تعريف الهوية بالتخلّي عن التصنيفات الدينية و الثنائيات الثقافية مثل الغرب والإسلام ، فهي بمثابة أفخاخ تستخدم للتعبئة والشحن لكي تؤول إلى التمييز العنصري والصدام الحضاري . و الأحرى أن تستخدم بدلا من ذلك المصطلحات والعناوين العائدة إلى الجنسية والبلد ، بحيث يُعرّف الواحد كسعودي أو مصري ، كما يُعرّف الأمريكي أو الفرنسي ، أو يعرف من خلال الانتماء إلى المجموعـــــــة الإقليمية ، كعربي أو كأوروبي أو سوى ذلك))(18) يعدُ (على حرب) الهوية الدينية بعد من أبعاد الشخصية لا غير . وهي ليست جوهرًا متعاليًا أو مبدأً حصريا أُحاديا ، و لاهي أصل ثابت يختم بصورة نهائية على العقول والأجساد والأسماء ، وإنما هي هوية مركبة ومتحركة ومفتوحة ونسبية ، بقدر ما هي مجمل علاقاتنا وتبادلاتنا مع الآخر والزمن والعالم . وهذا تفسير لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من أسرى غزوة بدر عندما جاء المسلمون بهم مكبلين إلى رسول الله فأمر بفك الأسرى ، كما أمر كل واحد منهم أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، ولم يكرههم على الدخول في الدين الإسلامي ، بل ترك لكل من أراد ذلك و تستشهد الباحثة في هذا المجال بما ورد في القرآن الكريم ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))(19) . ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))(20) .

2- كسر النرجسية يقتضي من جهة أخرى استبدال مبدأ التسامح بسياسة الاعتراف المتبادل . فالتسامح الذي ينتهكه عادة دعاته ، كما تشهد الحروب الدينية والمذهبية فقد كان مجرد هدنة بين فتنتين أو صدامين ومثالنا على ذلك ما حصل بين (يهود بني قينقاع) والمسلمين (*******) ، إذ هو يُبنى على التنازل و التساهل إزاء الآخر ، مع الاحتفاظ بالاعتقاد بأنه مخطئ أو غير محق أو منقوص الإيمان وربما منقوص الإنسانية . أما الاعتراف المتبادل فإنه يعني أن تتصرف كل جماعة لغوية أو ثقافية أو عرقية ، بصفتها جزءًا من العالم ، لا أكثر و لا أقل ، لا أفضل ولا أدنى على هذا النحو يمكن أن تتعامل الدول العربية مع نفسها ومع غيرها بوصفها دولا بين الدول أو أمة وسط الأمم ، أي بصورة وسطية تداولية ، خاصة وإنّ كتاب الله ينص على قيم الوسطية والتعارف((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) (21) و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))(22) بحيث تكون مهمتها المشاركة في ورشة التنمية و صناعة الحضارة أو في حمل المسؤولية لمجابهة الأخطاء الجسيمة المحدقة بالمصائر . و يجدر بالولايات المتحدة الأمريكية أيضا أن تفكر فيه أو تسعى إليه ، بحيث تتخلى عن ثنائية المحورين والمعسكرين ، الخير والشر أو الحضارة والبربرية ، فهي الوجه الآخر لثنائية الفسطاطين (الإيمان والكفر) ؛ إذ كلاهما يُحيل الهوية إلى عُصاب أو داء أو فخ أو محكمة لاتهام الآخر وإدانته : ((صحيح أن الولايات المتحدة هي الدولة الأحدث و الأغنى والأقوى . ولكن ذلك لا يعطيها الحق في احتكار

الإيمان والمشروعية و الادعاء بأنها تُجسِّد القيم الكونية ، بل يُرتِّب عليها مسؤوليات جسيمة بحيث تدافع عن أمنها ومصالحها وقيمها أو تمارس عالميتها من خلال الأطر الدولية المشروعة وبمنطق الحوار والمفاوضة أو الشراكة والتضامن))(23) لم يخاطب (على حرب) بنصه الأمة العربية أو الإسلامية فقط بل تواجه بخطابه أيضا إلى الولايات المتحدة الأمريكية باستبدال مبدأ التسامح بمبدأ الاعتراف المتبادل والحوار والمفاوضة أو الشراكة والتضامن ، وعدم التعامل مع العالم بمنطق التآله والقبض والتحكم والهيمنة ، إنه وهم كبير بقدر ما هو ذو نتائج خطيرة ومدمرة ، كما يشهد المأزق العالمي الراهن الذي أفضت إليه السياسات الأحادية و الاستراتيجيات الإمبريالية . و لو رجعنا إلى زمن الحضارة الإسلامية (الكلاسيكية) نجد أن المسلمين قد أخذوا كثيرا من علوم وأفكار الحضارات التي كانت تساهم في بناء المشهد الثقافي العام ، وتفاعلوا معها دون أن يرفع المسلمون في تلك الأيام لافتات (الغزو الثقافي) ، و لكن بعد أن انتكست الحضارة الإسلامية ، ودخل المسلمون ظلمات التعصب الديني والانغلاق الفكري وكراهية الآخر ، وعليه لم تستطع ثقافتهم المصابة بداء الانغلاق أن تساير التهور المذهل في مجالات الحياة الإنسانية ، وتقوقعت داخل اتجاهين لا ثالث لهما (اللغة والفقه) ، فتحولت إلى ثقافة متخشبة عرجاء لا تملك أسباب التطور والنقد الذاتي وآليات التجديد الفكري وإمكانيات التفاعل الثقافي مع الآخر، وكان أن رفع أصحاب الفكر الديني لافتة الغزو الثقافي ، ورددتها من خلفهم الجموع الساذجة التي لم تسأل سؤالا واحدا عن خطورة الانغلاق الفكري والاكتفاء بالعلوم اللغوية والفقهية فقط والدوران في حلقة مفرغة من الأفكار التي لم تستطع تجديد نفسها ، أو حتى مجرد التفاعل مع ثقافات الغير ، وكان أن حكمت المسلمين و لعقودٍ طويلة وإلى الآن عقدة (الأفضلية) على كل الأقوام والجماعات والأديان الأخرى ، وتصدرت هذه العقدة مجمل التفكير الديني عند أغلبية العاملين في الحقل الإسلامي : ((فإن رفض بعض الشرائح الإسلامية المتشددة التعامل مع خبرات الآخر ، وقبول العناصر الإيجابية في معطياته ، و اتخاذ موقف مقفل تجاه الثقافات المحلية السابقة على الإسلام والحضارات المحيطة المعاصرة لظهوره ، هذا الموقف ... ضيّع على الحضارة الإسلامية فرصة أكثر غنى وعطاءً للتلاقح والتبادل فيما يمكن أن يعينها أكثر على العطاء والإبداع)) (24) تضيِّق هذه الشرائح دائرة معاملتنا مع الآخر في وقت أن ديننا الإسلامي يحثنا على الاستفادة من الآخر و القرآن الكريم أراد أن يضعنا في قلب العالم ودعانا في عشرات المواضع إلى السير في الأرض و اكتشاف سننها وطاقاتها ، من أجل توظيفها لمهمة المسلم العمرانية في هذا العالم ، وانه – أي القرآن الكريم– توّج ذلك بسورة كاملة تحمل اسم (الحديد) وترفع في إحدى آياتها خطابًا واضحًا لا غموض فيه بخصوص استخدام الحديد أداة للتقدم الحضاري السلمي من جهة ، والتفوق التقني العسكري القدير على حماية الوجود الديني في العالم من جهة أخرى . وطالما كانت القيادات والنخب الإسلامية على وعي بالخطاب القرآني ، وعرفت كيف تحسن التعامل مع المكان سوى على مستوى البحث العلمي أو التنفيذ الواقعي (من قبل الساسة) . لقد كانت الحضارة الإسلامية قديرة على التفاعل مع كتلة العالم وتوظيفها في تنمية هذه الحضارة وحماية منجزاتها من التآكل ، ومقاصدها الكبرى من الانتقاص والعدوان . ولكن – وبمرور الوقت – ارتخت الأيدي المسلمة عن الإمساك بالكتلة والعقل المسلم عن التنقيب في سننها ومال المسلمون إلى الكسل والركود ، وفكوا ارتباطهم بالأرض ، وعجزوا عن الاستجابة لتحديات المكان ، الأمر الذي قادهم إلى التخلف العلمي ومكن منهم خصومهم ، وساق وجودهم الحضاري إلى

التآكل والخمود ، وتحولوا بمرور الوقت إلى عالة تستجدي من الغرب المتفوق حلو ثماره المترتبة على حسن توظيفه للمكان ، وكشفه المتواصل عن أسرار الكتلة و نواميسها التي أودعها الله سبحانه فيها ، وجعلها عطاء غير محظور لكل من يعرف كيف ينتزع السر وكيف يعمل عقله ويده في تحويله إلى ما ينفع الناس و يدفع عنهم الضرر . إن الله سبحانه وتعالى يمد يده إلى الجميع و لا يفرق بين هذا وذاك : ((كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)) (25) كما يتضح من موقف الخليفة الراشد (عمر بن الخطاب) الذي بدأ بقبول بعض أنظمة الفرس والروم وخبراتهما الإدارية والمالية والعسكرية ، وأدى ذلك إلى تغطية مساحات شاسعة من أنشطة الحضارة الإسلامية التي تلقّت عن الآخرين الكثير من مفرداتها .

3- أعادة ترتيب العلاقة مع الشأن الديني والعمل على أعادة تشكيله وبنائه ، وذلك بالتعامل مع الدين ، ليس كمجال يُهيمن على سائر المجالات ، بل بوصفه أولا مجرد دائرة من دوائر الحياة تُنظم علاقة الإنسان بالمعنى والغيب وبوصفه ثانيا احـــــترام الواحد للآخر في نفسه وجســـــده ومعتقده وحريته وكرامتـــــه وسائر حقوقه : ((الأحرى التعامل مع الدين كوازع معنوي أو سلطة رمزية أو مهنة خلقية لا غير ، مما يعني رفع وصاية المؤسسة الدينية عن عمل التشريع و التنظيم الذي يعود للدولة والدولة الفعّالة والعادلة هي التي تكون في قوانينها وخططها وسياساتها حصيلة المجتمع بمختلف قطاعاته و فاعلياته و مشروعيته)) (26)يرمي النص إلى عدم ممارسة العمل الديني بوصفه نظاما شموليا استبداديًا أو إرهابيا ، فالدين لم ولن يكون حكومة إلهية أو نظرية سياسية أو منظومة حقوقية أو برنامجا اقتصاديا . مثل هذه المهام التي أسندت للدين تُرجمت في العالم العربي أفخاخا و مآزقًا ، كما أنتجت مزيدًا من الاستبداد والفساد والفقر والتخلّف والبؤس ، بعد عقود طويلة من العمل الديني و الجهادي . إن التعامل مع الدين يتم بوصفه وازع معنوي ، أي فصل الدين عن كل المهام التي نسبت إليه ، لا شك في أن الدين هو إحدى المشروعيات ، ولكنه ليس بمشروعية عليا أو مطلقة إذ أن هذا ادعاء فقد مصداقيته على أرض الواقع الحي ، إن المفهوم الخاطئ للدين يترجم على إنه تدمير المعاني والقيم ، بقدر ما يولّد الأزمات والكوارث . وتغيير النظرة إلى الدين يُغيّر النظرة إلى المشتغلين في الحقل الديني ، بمعنى أنه إذا كان الدين مجالا من المجالات ، فالعاملون في هذا المجال هم كسواهم من الناس أصحاب مهنة من المهن لا رسالة من الرسالات ، بذلك يجري التعامل معهم بوصفهم فاعلية من فاعليات المجتمع يهتمون بتجديد حقل عملهم وتطويره ، بلغته وقضاياه وأدواته ، أو ينخرطون في المناقشات العمومية لتسليط الضوء على الآفات وتفكيك المشكلات بالنقد والمراجعة ، للمساهمة في تركيب الحلول وابتكار المعالجات ، إن ادعاء البعض بأنهم أصحاب صفات أو مهمات إلهية أو نبوية أو رسولية ، كما يتحدث الرئيس الأمريكي (جورج بوش) ، أو كما كان يتحدث من قبل الزعيم الإيراني (روح الله الخميني) حيث إن من قُبيل التشبيح الغيبي والتهويم الإيديولوجي مآله إنتاج ما نشكو الآن منه ألا وهو تكوين أو نشوء منظمات إرهابية وأنظمة شمولية .

4- تغيير النظرة إلى الفرد أو الشخص وذلك بالتعامل معه ليس بوصفه مجرّد مؤمن في جماعة بل كمواطن . وإذا كان المؤمن بنسخه القديمة والحديثة ، الدينية والقومية والاشتراكية ، قد حال من وقوف المواطن في المجتمعات العربية ، فلا ينبغي له أن يلغي المؤمن : ((الأجدى والأغنى التعامل مع الفرد بوجوهه المختلفة وأبعاده المتعددة ، كمؤمن ، ومواطن ، وصاحب مهنة أو اختصاص ، هو فاعل و مؤثّر بقدر ما هو منتج ومبتكر ؛ وهو مسئول يشارك في صناعة الحياة وبناء المجتمع

، بقدر ما يشارك في إنتاج المعرفة والثروة والقوة))(27) يقتضي إذن رفع وصاية النخب الثقافية والدينية عن شؤون الحقيقة والعدالة والحرية . فكل منتج وفاعل و مسئول له نصيبه من هذه القيم . بهذا لا يعامل الفرد كقاصر ، بل كفاعل بشري له أبعاده المحلية و الوطنية أو الإقليمية والعالمية ، يفكر و يتصرّف كمسئول عن نفسه كما يساهم مع غيره في صياغة المصائر ، سواء على مستوى بلده أو على منطقته اللغوية أو الجغرافية ، أو على مستوى البشرية جمعاء .

يُسهم اليوم الإعلام في صنع الحقيقة وفي تشكيل العالم ، عبر الصورة والمعلومة ، فإن الإعلام يحمل المسئولية ، فيما آل إليه المصير من العجز والتردّي أو الإخفاق و الإحباط . إن المسئولية الإعلامية يحملها الدعاة و الجهاديون ، كما يحملها المثقفون الحداثيون ، من قوميين واشتراكيين ، وكل الذين يطلّون عبر الشاشات ، من بلدانهم أو منافيهم ، للدفاع عن العمليات الإرهابية المدمرة ، بذريعة مقاومة الاحتلال ، مساهمين بذلك في تحويل الإسلام والعروبة إلى أداة للإبادة والخراب ، على غراء ما يجري على الساحة العراقية وتحـــــويل الحياة فيها إلى جحيم لا يطاق : ((إذا كان لكل واحد الحق في أن يفكر ويُعبّر ... من على الشاشة فلتكن الحظوظ متساوية و الفرص متكافئة ، بحيث يُعطى للشأن الديني كما يُعطى لأي واحد من مجالات الحياة الأخرى))(28) ينادي (على حرب) بتسوية البرامج الدينية المعروضة على الشاشة بغيرها من البرامج الأخرى ، فنحن نتحدث عن الخلق كما نتحدّث عن التطوّر ، ونتحدث عن يوم الحساب لكي لا نهرب من محاسبة النفس ورمي المسئولية على الغير ، و نُبجّل الأُوّل ولكن بقدر ما نعتقد بنسبية أعمالهم ونهتم بالكشف عن أخطائهم ، ونتحدّث حديث النقد عن دور الدين وحدوده كما نتحدث عن نقد العقل و إمكاناته .

وتلك هي حدود الإنسان في النهاية ككائن متناهٍ ، فهو (الإنسان) يتصف بالنسبية والقصور بقدر ما هو منسوج من الالتباسات والتوترات أو مبني على المفارقات والمعارضات . صحيح هو خلاق وقادر على صنع المآثر والمعجزات ومع هذا قد يكون كائنًا مدّعٍ ومشعوذًا أو شرسًا وخطرًا يُسطِّر الترّهات والخرافات كما يتستّر على الفضائح ويصنع المآسي والفظائع .

يرى (على حرب) أن محاربة الإرهاب تحتاج إلى انتهاج سياسة إعلامية جديدة لا تكيل بمكيالين على ما يجري الآن ، حيث الإرهاب يكافح في الداخل ويدعم في الخارج ، أو يواجه في مكان ويسكت عنه في آخر ، والنتيجة هي أن الإرهاب الوحشي يصل إلى عقر دارنا من حيث لا نحتسب ، و أن ما ندعمه أو نستخدمه يرتدّ علينا و يضرّ بنا . أليس هذا هو الحاصل منذ ربع قرن أن الولايات المتحدة وبعض الدول العربية تُدْعم أو تستخدم أو تتحالف مع المنظمات الإرهابية الجهادية لكن ترتد ضدها فيما بعد ؟ والنتيجة واحدة في كلا الحالتين : زعزعة الاستقرار وضرب الأمن في غير بلد عربي هذه هي الحصيلة المدمرة لاستخدام قنوات الإعلام وبرامجه من اجل تلميع صورة الإرهابيين وتبرير سياستهم الانتقامية البربرية في نظر الناس ، تراجع ثقافة الحوار والاعتراف والتواصل والتبادل ، مقابل غلبة ثقافة الاصطفاء والإقصاء والاستعداد والشحن والانتقام والاستئصال : ((إن إدارة الشأن العالمي تحتاج إلى صيغ وأطر و معايير جديدة و مغايرة ، خاصة وأننا نلج إلى عصر كوكبي تتعولم فيه الهويات و الثقافات كما تتعولم المشكلات والكوارث هذا ما تشهد به الآن المعضلات الأمنية والبيئية والصحية والاجتماعية التي تترك مفاعيلها وتداعياتها في مختلف أنحاء العالم)) (29) فلا تجدي إدارة هذا الواقع الكوكبي بمنطق القوة و الإمبريالية و لا بالنظام الاستبدادي ، ولا بالعقل النخبوي و لا بالعقلية الأصولية ، وإنما الحاجة في إدارته و تدبّره

تكمن وراء التمرّس بعقلانية جديدة مرنة و مفتوحة ، مركّبة و متحرّكة تصدر عن الإحساس بالمسئولية المتبادلة بقدر ما تشتغل بلغة الحوار و التسوية أو بمنطق الشراكة والمداولة ، وهكذا تنخرط المجتمعات البشرية في واقع كوني جديد يتشكّل معه وعي كوكبي ومواطن أرضي أو عالمي ، الأمر الذي يؤدي إلى إعادة تعريف الحدود و صياغة الحقوق . ثمة حاجة إلى تشكيل حق كوني أو أرضي ، يجيز التدخل من جانب دولة أو مجموعة إقليمية أو الأسرة الدولية في شؤون دولة أخرى أو مجموعة من الدول ، لمنع مجزرة أو تقديم مساعدة أو لتجنب كارثة محتملة أو هجمـة إرهابية أو حرب طاحنة : فـ((لا مجال بعد اليوم لأحد أن يحفظ أمنه أو يقيم أوده بمفرده من دون سواه . كما لا مجال لأحد أن ينوب مناب غيره في الدفاع عن مصالحه و قيمه وحرياته ، من هنا (حق التدخل) أو (واجب التداخل) ، سواء في حالات السلب أو الإيجاب ... ولكن هذا الحق أو الواجب ، ليس وحيد الجانب ، وإنما هو حق متبادل وعمل مركب لا تحتكره أو تمارسه دولة دون أخرى ، و إنما يُمارس وفقا لمبادئ و معايير تقرّها هيئة الأمم بالوسائل والأساليب العقلانية التداولية و الديموقراطية))(30) يكشف لنا النص أنه بفضل العولمة والتقدم التكنولوجي أصبح العالم قرية مصغرة بحيث يُتاح لدولة التدخل في دولة أخرى سواء في حالات السلب أو الإيجاب ، وهذا حق متبادل بين الدول لا يقتصر على دولة دون أخرى ، فلا اعتراض على سبيل المثال على قول الرئيس الأمريكي بان الولايات المتحدة تعتبر أمنها وحريتها وقيمها تتوقّف على نشر الحرية والأمن في العالم ، فهذا هو الواقع اليوم في عصر الاعتماد المتبادل ، كما هو لسان حال جميع الدول و الأمم ، ولكن هذه المهمة ينبغي أن يشارك في إنجازها ورعايتها أعضاء الأسرة الدولية ، بقدر ما تكون ثمرة المناقشة والمفاوضة والتسوية ، ولذا فهي تحتاج إلى عقول تداولية تُفكر بعين مركّبة تأخذ بعين الاعتبار واقع العالم بمختلف دوله ومجتمعاته وخصوصياته الثقافية أو العرقية أو الجغرافية ، كما يُحمد اعتراف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالخطأ في أن بلده قد اهتم في مرحلة سابقة بدعم الأنظمة الدكتاتورية على حساب الحرية ، و يُحمد أيضا للمملكة العربية السعودية اعترافها بدورها في دعم (القاعدة) في مرحلة سابقة ، وينتظر أن تعترف أمريكا بدعمها للقاعدة أيضا . مثل هذا النقد الذاتي لا يُطلب لذاته ، وإنما يمارس من أجل إعادة بناء العلاقة بين الدول ذات المصالح المشتركة والمختلفة ، وذلك بالعمل على اشتقاق إمكانات جديدة يتوسّع معها فضاء العمل الدولي المشترك ، عبر تطوير صيغه وتحسين شروطه أو تفعيل آلياته . فلا يُعقل أن ندعم الإرهاب دهرًا ، ثم نعود لكي نطالب العالم بأن ينضوي تحت لوائنا لمحاربة المنظمات الإرهابية ، فالواجب بعد الفشل الذي آلت إليه سياسات الانفراد هو حمل المسئولية بالعمل مع الغير بمنطق المشاركة . وحسنا تصنع (المملكة العربية السعودية) ، بتنظيمها مؤتمرًا دوليا حول الإرهاب يهتم بدرس هذه المعضلة لتركيب حلول واستنباط وسائل ناجحة ومنصفة في معالجتها ، ولكي لا تؤدي مكافحة الإرهاب إلى مزيد من التأزم و انفجار بؤر العنف في غير مكان من العالم : ((إذا كان من حق الولايات المتحدة أن تطالب الدول العربية بأن تحذف من مناهجها المفردات و التعابير التي تحض على كره الأمريكيين أو الغربيين بالتعامل معهم كمشركين أو كفرة أو صليبيين ، فالواجب هو محاربة المنزع العنصري و الاصطفائي داخل الولايات المتحدة ، كما أنه من حق الدول العربية وغيرها أن تطالب الولايات المتحدة بالرضوخ إلى حق القانون الدولي والكف عن استخدام معايير مزدوجة بالعمل في إطار الأمم المتحدة ، من اجل تطوير مواثيقها و قواعدها ، لكي تكون أكثر فاعلية في معالجة المشكلات الكونية))(31) فلا يجوز أن ينفرد الواحد في

تعاطيه مع القضايا الدولية ، بل بات من الخطر المحقق أن يتعاطى مع الشأن الكوكبي بعقلية الوصاية والانفراد والهيمنة ، وإذا كانت وزيرة الخارجية الأمريكية تعتبر أن مصادر الإرهاب هو ثقة في النفس مبنية على التعصب ، فان هذا ينطبق على أمريكا وإدارتها ، بقدر ما تتصرف بوصفها حارسة للأمن العالمي ، أو بوصفها الناطقة الوحيدة باسم الحرية والديموقراطية و المدنية و الحضارة وبقية القيم الكونية الجامعة

نستخلص مما سبق أن الإرهاب هو عمل مركب وملتبس يُحارَب على مستويات مختلفة بقدر ما يتغذى من جذور ومنابع مختلفة و متعددة . قد يكون مصدره الفقر أو القهر أو الاستلاب ، وسواها من الحالات و الظروف التي تدفع المرء إلى أن يخرج على الناس شاهرا سيفه أو رشّاشه أو مجاهرا بهويته وثقافته. وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى محاربة الإرهاب على جبهات متعددة على جبهة الفقر بالتنمية الاقتصادية ، وعلى جبهة الاستبداد بالإصلاح السياسي والتغيير الديمقراطي والعمل المدني ؛ و على جبهة الأنظمة والقوانين بتوسيع مساحات الحرية و مجالات الحقوق ؛ وعلى جبهة الإعلام بتغليب منطق التفكير النقدي والعمل على تنوير الرأي العام وذلك بالكف عن لغة التعبئة والشعوذة والإبادة ، وعلى جبهة التعليم الديني بالعودة إلى مبدأ التقوى و لغة الوسط ، للتخلي عن منطق التطرف و التكفير الذي يعدّ أناسا يتقنون استعداء المختلف في الداخل والخارج . ولذا يحارب الإرهاب ، بشكل خاص ، على جبهة الثقافة الإيديولوجية التي هي (بيت الداء) ، وليس الحصن المنيع كما يعتقد المثقفون العرب . فالبشر هم الذين يصنعون العالم بعقولهم ، و أن كانوا في النهاية ضحايا لصنائعهم وأفكارهم . إن العمل على الجبهة الثقافية يرمي إلى تجديد أشكال المصداقية والمشروعية ، المعرفية والخُلقية والسياسية وذلك بالعمل على تغذية العناوين و تحويل المفاهيم ، أو تجديد أطر النظر ومحركات العمل ، أو تطوير صيغ العقلنة وأنساق المعرفة ، أو تغيير سياسة الفكر وقواعد المداولة ، وبصورة تتيح إنتاج ما يحتاج إليه التعاطي مع العالم ، الذي يزداد تعقيدا أو التباسا وتأزما ، من الأطر المرنة والنظم المفتوحة والهويات الهجينة والصيّغ المركبة أو الوحدات التركيبية والديناميكيات الفعّالة وهكذا فما نستنكره فندينه أو يرعبنا فنحاربه ، إنما هو نتاج أفكارنا التي بها نبني كما ندمر .

هذه الأفكار التي قد تكون اخطر من أسلحة الدمار الشامل ، إذ هي التي تصنع البربري والوحش ، خاصة عندما ينظر إليها على أنها مطلقة أو مقدسة أو أحادية ثابتة أو نهائية أو مغلقة سوى تعلق الأمر بالعقل أم بالنص ، بالهوية أم بالغير ، بالإسلام أم بالغرب . فمن يزعم بأنه يدعو إلى خدمة دين الله وشريعته بعمله هذا هو زعم مزيف ودعوة خاطئة ، هذه الدعوة تخرقها أو تخرمها دوما الوساوس والهواجس أو الشكوك أو الأهواء والأطماع هذا إذا كان أصحابها صادقين في توجههم ومساعيهم . وان لم يكونوا كذلك ، فإنهم يستخدمون الترسانة الرمزية للأديان ، للفوز بالخيرات والحطام من المكاسب والمناصب والثروات والسلطات . وأيًّا يكن ، فالأولى ليس خدمة هذا المعتقد أو ذاك بالعكس ، فالعقائد والفرائض والأحكام هي لخدمة الحياة والناس والمجتمعات . وأما الذي يتماهى مع فكرة ويتعبّد لها لكي يطرد ما عداها ، فانه لا يفعل سوى أن يحفر أسسا للإرهاب في الذهن والعقل : ((فنحن أقمنا الدنيا لاهوتيين وعلمانيين ، ضد فرنسا لأنها تريد منع الحجاب ، سواسية مع بقية الرموز الدينية . ولكننا ننسى أن فرنسا حاكمت رئيس وزرائها الأسبق على ما حصل عليه بغير حق ... وننسى انه ذات مرة أتى (شيراك) بكرسي لأحد وزرائه الذي لم يجد كرسي يجلس عليه في مجلس الوزراء. إننا ننسى ذلك في فرنسا

بقدر ما ننسى عندنا ، إننا نمارس التآله ، وإننا لا نحسن التعايش مع بعضنا كما تشهد تجارب الحكم الفاضحة))(32) فمن هو إذن اقرب إلى روح الشرائع أو إلى مواقف الأول في قضايا العدل والحكم كـ(عمر بن الخطاب) صاحب الشعار القائل : من أين لك هـذا ؟ أو (على بن أبي طالب) صاحب القول لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ؟ بالطبع هو (جاك شيراك) وليس حماة الهوية وحراس الشريعة أو أمراء الجهاد . فهذا يكشف زيف الدعوة بالتماهي مع السلف والحفاظ على الخصوصية . فالماضون كانوا قادرين و خلاقين ومنتجين ، بقدر ما كانوا سباقين و فاتحين أو بناة وصانعين ، أما نحن فإننا مغلقون ، مقلدون محافظون ، مكبلون ، عاجزون، فقراء ، بؤساء . وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد ازدهرت ومارست عالميتها بصورة ايجابية وبناءة وفعالة ، فلأن الذين انخرطوا في صناعتها وعملوا على نشرها في أرجاء العالم ، قد تعاملوا مع الأصول والهويات ، لا بمنطق التقليد والمطابقة أو النسخ والتعبد ، بل بمنطق الزحزحة والإحالة أو التبادل والتفاعل ، وذلك على سبيل الانتهاك الوجودي الحي والخلاق ، للمقدسات والمحرمات والثوابت ، على الصعد المعرفية أو الفنية أو الخلقية أو السياسية ، نعم إننا نشبه للسلف على الصعيد الإيديولوجي لا على الصعيد الوجودي ، أي من حيث الحرف والرمز أو الشكل والطقس ، لا من حيث الإرادة الفذة والقدرة الخارقة .

إذن ما يمكن قوله ، هو العمل على فك الوصاية الحصرية عن القضايا والقيم والهويات ، وكسر منطق الوحدانية في التفسير والتحليل و التعبير والتمثيل وذلك بإلغاء قاعدة الارتداد وإطلاق حرية الاعتقاد ، بفتح الهوية على التعددية المشروعة ، تعددية التفسير والتأويل أو المنهج والمذهب . إن معالجة العرب بل البشرية جمعاء ، لداء الإرهاب الذي يفتك بالمجتمعات المعاصرة حتى كاد أن يكون جزءًا من الحياة اليومية لا يمكن أن يتم بالعدة الفكرية الحديثة ولا بالمنظومات العقائدية الآلية ، بل يتم في رأي (على حرب) : بـ((نقد الذات لتفكيك الترسانة الرمزية للعقيدة الإنسانية ، بأطيافها ورموزها و نماذجها و معاييرها وتصنيفاتها ، وسوى ذلك من (الميمات) الثقافية الموروثة ، فهي (بيت الداء) ، إذ هي التي تولد ما نشكو منه أو ما ندعو إلى محاربته من فساد واستبداد أو إرهاب وخراب))(33) إذن فمنبع الإرهاب هو الاعتقاد بوجود قراءة واحدة للمعطيات أو حل وحيد للمشكلات ، أو الاعتقاد بأنه وحده من دون سواه يملك الحلول أو قادر على تنفيذها ، على هذا المستوى تبدو الحاجة ماسة وملحة للتركيب وإعادة البناء ولذا فالإمكان مفتوح إلى إعادة النظر بالعدة الفكرية والمهمة الوجودية ، للعمل على تشكيل مشروعية بشرية جديدة بمبادئها وأطرها وصيغها وقواعدها . بهذا يتفق (على حرب) مع (محمد عابد الجابري) في إعادة النظر في العدة الفكرية : ((إننا نعتقد أن الدعوة إلى (تجديد الفكر العربي) أو (تحديث العقل العربي) ستظل مجرد كلام فارغ ما لم تستهدف ، أولا وقبل كل شـــــيء ، كسر بنية العقل المنحدرة إلينا من (عصر الانحطاط) ، وأول ما يجب كسره – عن طريق النقد الدقيق الصارم – هو ثابتها البنيوي : (القياس)))(34) إن تجديد العقل العربي في المنظور الذي تحدث عنه (محمد عابد الجابري) يعني إحداث قطيعة ابستمولوجية تامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداتها إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر .

وكما تتفق آراء ومواقف بعض المثقفين العرب لمعالجة موضوع الأزمة الحضارية للأمة العربية بتحميل مسئولية هذه الأزمة الحضارية للأمة العربية إلى الخطاب الديني وطالبوا بضرورة البحث عن آليات لتجديده .

الدراسات النقدية لـ(على حرب) .

اهتم كثير من النقاد والمفكرين والفلاسفة بفكر(على حرب) وتناولوه بالدراسة والتحليل ، فكان منهم المؤيد والمتفق معه في بعض أرائه والمناقض والمعارض للبعض الآخر ، أما عن الفئة الأولى فكانوا يرون في كتاباته حجرًا كان لابدّ من إلقائه بقوة في المياه الآسنة للواقع المتردي والذي يعيد فيه الإنسان البحث عن هُويته لإيجاد المخارج من أزماته ، ومن هذه الدراسات : دراسة(محمود كرم) الذي يُعد احد المعجبين بمنهجية (على حرب) والذي رأى فيه انه : ((لم يتوقف في مجمل كتاباته عن الإشارة دائماً إلى مواقع الخلل في واقعيات حياتنا المعاصرة ، طارحاً التساؤلات تلو التساؤلات ومجترحاً في الوقت نفسه سبل الخروج من قوقعة الأطر الفكرية والمعرفية والمفاهيمية المستهلكة والجامدة والضيقة والخاوية))(35) ثمة رؤى تنفذ إلى العمق ، باحثةً عن المصير الذي يجب على شعوب العالم العربي أن تحدده ، وسط عالم قد تجاوز فعلاً الحداثة التقليدية ، للخروج من نفق التخلف ومن ثقافة الارتداد التراجعي لفكر الاستلاب الماضي ومن تكرار المشاريع الفاشلة المدمرة . ويقول (محمود كرم) أن : ((علي حرب يرى أن واقع التخلف والتردي والهزيمة برمته يتوقف أولاً على ما يقرره العرب تحديداً لأنفسهم ولدولهم ولشعوبهم للخلاص من كل تلك الواقعيات المدمرة والقاتلة وثانياً التركيز على خلق الوقائع الميدانية والثقافية الخلاقة المتجددة لمعرفة كيفية مواكبة العالم الآخذ في التسابق مع موجات الحداثة الفائقة)) (36) يتبين من النص أن (محمود كرم) يتفق مع (على حرب) في الطريق الذي يجب أن يسلكــه العربي من أجل الخــروج من واقعه المتأزم ، ويؤمن بما جاء في احد كتبه :((عربياً يبدو المشهد هو الأكثر تأزماً وترديا ، مما يضع العرب في مهب المتغيرات ، فإما أن يواجهوا الأحداث باستخدام العدة القديمة المستهلكة ، لكي يهدروا الفرص والطاقات والموارد ، ويزدادوا تخلفاً وهامشية وتبعية للغير ، وإما أن يحسنوا التغير بطرح أسئلة العصر وإتقان لغة الخلق والتحول والتداول لكي يعملوا على تدارك الكوارث والمساهمة في صناعة الحضارة وقيادة المصائر فالعالم الآخذ في التعولم يزداد تشابكاً وتوحداً بقدر ما يتخطى الحداثة التقليدية إلى موجات جديدة من الحداثة الفائقة)) (37) يؤيد (محمود كرم)المفكر (علي حرب) في أن المشكلة الأساسية في العالم العربي التي يراها ، تتلخص في انعدام القنوات الثقافية الناهضة بالمجتمع نحو تلمس واقع التخلف ، ومواجهة الذات الغارقة في اجترارها المتكرر للأدوات الثقافية المستهلكة ، التي فقدت صلاحيتها في واقع اليوم حيث يقول : ((ولا شك أن الثقافة ، بثوابتها ومحرماتها ونماذجها ومنتجاتها هي مصدر أساسي من مصادر الخلل والعطب ، فالعلة لا تكمن دوماً في القرار السياسي أو في المشروع الاقتصادي ، وإنما لها جذورها في نظام الفكر ومصادرات العقل أو في قوالب المعرفة ومنظومات القيم ، فضلاً عن طرائق التفكير وقواعد التعامل))(2) و قد أثارت إعجاب (محمود كرم) إشارة (على حرب) إلى نقطة مهمة تتمثل في أننا لم ننجح إلى الآن في تغيير الواقع المتخلف الذي نرتع فيه ونزداد به تخلفاً ، بسبب نضالاتنا الفاشلة في قضايا خاسرة ، ودفاعنا عن الهوية والثوابت بعقلية مناضلة وكأن كلَّ مَن في الكون يتربص بنا الدوائر ، ويتقصد هزيمتنا وتخريب هويتنا والنيل من ثوابتنا ، ويرى أن الفرق شاسع بيننا وبين الغربيين في تعاملهم مع الأفكار والثوابت ، حيث يقول : ((ولعل هذا هو

الفرق الكبير بين العرب والغربيين ، فبعد أن أتخمنا نضالات فاشلة وقضايا خاسرة ، ما زلنا نتعامل بعقلية مناضلة ومدافعة عن الهوية والثوابت، أو عن الحقيقة والعقلانية والحرية ، في حين أن الغربيين يُخضعون أفكارهم وثوابتهم بالدرس والتحليل لخلق لغات مفهومية ، وأطر نظرية أو مبادئ استراتيجية ، أو يجددون معها الوجهة والعدة أو المهمة ، والطريقة ، بقدر ما يتغيرون ويسهمون في تغيير العالم ، وهكذا فالذي لا يقدر أو لا يحسن الخلق ، خلق الوقائع التي يتحول بها عن ما هو عليه لن ينجح في تغيير الواقع ، بل سوف يغيره الآخرون بقدر ما يتم التغير على حسابه وضد مصلحته))(38) إن المفكرين والأدباء والكتاب والفنانين المبدعين في مجالات المعرفة والثقافة ليسوا هم الفئة الغالبة في عالمنا ، ولذلك يراهم (على حرب) قليلي الفاعلية والجدوى ، إن السيطرة في عالمنا أضحت للوعاظ والمرشدين أو للدعاة والمناضلين أو لحراس الهوية وشرطة العقائد ، وسواهم من الذين يمارسون التعمية الأيديولوجية والشعوذة الثقافية أو التشبيح القومي والتهويل الديني ، وفي ظل هذه السيطرة التي أغلقت على العقول والأفكار والثقافات والمعرفيات آفاقها الرحبة بأقفال الماضوية المتشنجة والأدلجة المميتة والتعصب الأعمى والنرجسيات الواهمة والمخاتلة ، وحولت التراث والمنقولات والأحكام والمعتقدات والمفاهيم إلى أصنام للعبادة والتقديس ، فكانت النتيجة كما يقول (علي حرب) : ((تلك هي ثمرة التقديس للأفكار ، أكانت حديثة أم قديمة : أن تتحول إلى أوثان لكي تطمس الحقائق وتستبد بأصحابها ، بقدر ما تشل طاقة العقل على الفهم والتشخيص أو على التقدير والتدبير ، فأصل الاستبداد أن تستبد بالمرء هوية أو عقيدة أو مقولة أو أن يستعمره أسم أو أصل أو نموذج ، ولو تعلق الأمر بالحرية والتقدم والعقل))(39).

أما(كرم الحلو) فيتفق مع (على حرب) في ضرورة التحرر من الطرق التقليدية في قراءة التراث العربي الإسلامي ، حيث يقول في جريدة السفير:((أجل، نتفق مع المؤلِّف على أن فكر الحداثة يواجه تحدياتٍ عميقةً تطرح مستقبله على بساط البحث، إلا أننا نرى أن لا سُبُل أخرى أمام الإنسانية أكثر أمنًا من تلك التي فَتَحَها عقل التنوير الحداثي، مهما اعتور ذلك من ثغرات ونقائص. لقد بات واضحًا أن الإنسانية خَطَتْ، منذ بزوغ فجر التنوير إلى الآن، خطواتٍ جبارةً باتجاه تأكيد حقوق الإنسان ومحو الأمية وتحقيق حدٍّ أعلى من الرفاه والتقدم والتواصل بين البشر.)) (40) لم يكن ذلك كله ليتحقق لولا التوجهات الحداثية العقلانية والعَلمانية والديموقراطية. وإذا كان ثمة خلل قد مُورس في التعامل مع المبادئ التنويرية الحداثية، فإن العلة لا تكمن في هذه المبادئ وفيما تنطوي عليه من مضامين، بل في الذين اتخذوا منها قناعًا يتسترون به على انحرافهم عن أهدافها الحقيقية. ولا يبدو ثمة بديل عنها في المدى المنظور سوى الظلامية والاستبداد والعودة البائسة إلى القرون الوسطى . إن (كرم الحلو) يرى أن ما يثير حفيظة (علي حرب) هي الآليات الفكرية والتهويمات العقائدية التي تتحكم في ذهنيات الحداثيين العرب وتصرفاتهم، بوصفها تشهد على أنهم قد تركوا من الحداثة إرثها النقدي وآفاقها الرحبة ولغاتها المفهومية وموجاتها المشتعلة، لكي يتمسكوا بمقولاتها المستنفَذة وأساطيرها المؤسِّسة وموجاتها المنطفئة وشعاراتها الإيديولوجية الآفلة. لذا لم يستقوا منها سوى مفردات الداعية والمبشر، أو التعويذة والأيقونة ، أو الديكور والقناع . وهو يعتبر الحصيلةَ لهذا النمط من التفكير حداثةً فقيرة أو متخلفة أو مشوهة أو عدوانية أو مأزومة، تعيد إنتاج المآزق بقدر ما تحيل الحياة إلى أفخاخ وحقول ألغام . إن قول (علي حرب) ينطبق، بدرجة أو بأخرى، على بعض الحداثيين العرب، وخصوصًا بعض

المشتغلين في الفكر والثقافة. لكن هناك جانبًا مسكوتًا عنه، وهو التشويه الذي مارستْه النخب الحاكمة للحداثة، ودور نُظُم الاستبداد والهيمنة في تعطيل الحداثة والمفاهيم المتخارجة عنها، وفي تعطيل مفاعيل المجتمع المدني، وفي التصدي لكلِّ مفكر أو مثقف حداثي، خصوصًا إنْ كان نقديًّا. والمأزق الذي يتحدث عنه (علي حرب)، المتجسد في ما تعانيه المجتمعات العربية، تُسأل عنه النخبُ الحاكمة في هذه البلدان أولاً، بوصفها المسؤولة عن جعلها تتأرجح اليوم بين براثن الكماشة العقائدية، الأصولية أو العَلمانية، القومية أو الدينية، التراثية أو الحداثية، أي بين ديناصورات التراث ومسوخ الحداثة، بين عبادة الأنبياء القدامى وتأليه الأنبياء الجدد، بين مجانين الله ومجانين المسيح، بين حروب الآلهة وحروب الأوطان. إن النخب الحاكمة في هذه الحالة تنهض على مقومات الاستبداد والهيمنة، وتشجع على انتشار "الفيروس الديني القاتل"(*********) ، ولا تقدم إلا العلاج "الحداثي" الفاشل، وهي المسؤولة عن القفز فوق المتغيرات، وعن نفي ما يتشكل من العوالم والقوى والأفكار أو الموجات والطفرات والشبكات.

أما عن الفئة الثانية تتمثل في دراسة (شكيب كاظم) الذي يصف موقف (على حرب) بالشاك والمتسائل فيقول : ((فالمفكر على حرب يقف موقف الشاك والمتسائل عن كل الاطروحات الفكرية التي أنتجها العقل العربي أو اعتنقها، لا يستثني منها احد ، فهو يشك بالمشروع الليبرالي والمشروع القومي والمشروع الماركسي ... من دون أن يحاول تقديم البديل لهذه المناهج الفكرية ، أو المشاريع الثقافية ، منوهًا بفشلها في بلورة منهج يقود المجتمع العربي نحو الدخول إلى القرن الحادي والعشرين ... أنا لا أريد للمفكر أن يكون بوقًا لمنهج ، ولا صدى لفكرة معينة ، لكن لابد من التـــــــزام بإطار فكري عام ، وليس إطارًا فكريًا محددًا يُلغي عقل المفكر و يحيله تبعًا))(41) يؤمي النص بضرورة وجود مجموعة من الأطر والأسس الفكرية العامة وشيء من الهوية يعمل المفكر على وفقها ، و إلا تحول جهده إلى هباء وعدم ، وإذا كان (الجاحظ) قد أفادنا منذ ألف سنة أو تزيد من أن المعاني مطروحة في الطريق ، حيث كان يناقش المسألة النقدية التي شغل الناس بها بشأن تفضيل المعنى على اللفظ أو العكس ، فأن الحقائق كما يرى (شكيب كاظم) مطروحة في الطريق بين المتضادين ، لان ليس هناك من حقيقة مطلقة في الكون بل أكثرها تحتمل الوجهتين واختلاف النظرات .

إن دراسة (سعد محمد رحيم) الذي يأخذ على (على حرب) أيضًا إنكاره لفكرة النهضة العربية ليكون البديل العولمة : ((إن الزحزحة التي يريدها على حرب هي زعزعة لأسس الفكر النهضوي والتنوير العربي ، ولاشك في أن هذا الفكر بحاجة إلى مثل هذه الزعزعة والزحزحة ، لكن (على حرب) لا يناقش إشكالية النهضة العربية بمفاهيمها و منطلقاتها ، وإنما ينكر فكرة النهضة ، ويعمل على اقتلاعها من أساسها في رؤية المفكر العربي ، ليكون البديل ، العولمة لا غيرها))(42) يتضح من النص أن العولمة في نظر (على حرب) ظاهرة كونية يريد من العرب الخوض في معمعتها أو الانسحاب إلى ذواتهم المغلقة ، فالعولمة إذن هي الخيار الوحيد أمام الإنسان أينما كان كما يتصور (على حرب) ، ولا رهان غيرها . ولكن هناك سؤالٌ يطرح نفسه دائمًا إذا كنا سننخرط بحكم الضرورة التاريخية في المشروع التقني للعولمة فهل يجب أن نخضع كذلك لمواجهات واستراتيجيات القوى القائدة للعولمة الآن ، والرضى بذلك أمرٌ واقعٌ لا سبيل لتغيره ؟ أليس المطلوب الاشتغال بجدية لتأصيل وعي استراتيجي ، وتدشين مؤسسات ذات ثقل ، وأفق استراتيجي لضمان مصالحنا ، في عالم يعرف القاصي والداني ، أنه يشهد

مصالح ضارية .

وتنتقد دراسة (حسن الاسمري) القراءة التفكيكية عند (على حرب) على اعتبار أن هذه القراءة لا يمكن تطبيقها على القرآن الكريم والسنة النبوية ، لأن من دعائم هذه القراءة فصل المقروء عن كاتبه وأعطى الحرية للقارئ ، وهذا لا يصح على حسب قول (حسن الاسمري) : ((منهج يهتم بالنظر إلى النص فقط ، دون اعتبار لقائله والمتكلم به ، ودون اعتبار لأي ظروف محيطة به ، ويبقى الإشكال مع النصوص الدينية ، فالنصوص الدينية لا تقبل الانفصال عن قائلها ، فالقرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى)) (43). كما ينتقد (حسن الاسمري) منهج (على حرب) لكونه منهج من إنتاج الغرب : ((وعلى حرب مع اهتمامه بالنص ، إلا أنه يهتم أكثر بنقد النص ، والنقد والنص مفهومان مصنوعان في حضارة الغرب ، مفروضان من قبل الثقافة الغربية ، بصورة ضيقة معروفة في بعض المنهجيات الفكرية الغربية وقد أخذ على حرب هذين المفهومين وانزلهما على الإسلام)) (44) يبين لنا (حسن الاسمري) أن (على حرب) لا يتعامل مع النص بصورته الواقعية المعروفة وإنما بصورته التي صنعتها بعض الاتجاهات الفكرية الغربية ، فهو يتعامل مع نص صورته مصنوعة في فترة زمنية معينة ، ومن قبل فئة معينة ، وإذا أتى زمن آخر وفئة أخرى جديدة بصورة جديدة للنص ، انتقلنا إليها وهكذا.

ويرى (حسن الاسمري) أن النقد عند (على حرب) لا يمارس بصورته التقليدية، فنقده لا يقوم على نقد المذاهب والمدارس والأيدلوجيات على أساس التفريق بين الصحيح والفاسد، أو بين الصادق والكاذب، أو بين العلمي والخرافي ، وإن كان أحيانًا يذكر أهمية مثل هذا النقد ولكنه لا يمثل أهمية كبيرة تعادل نقده الجديد، بل ويصب نقده اللاذع لمثل هؤلاء النقاد حيث يقول (حسن الاسمري) :((هذه عادتهم جميعًا ، فلا بد من البدء بإلغاء الآخرين، وإلغاء المنهجيات الأخرى والتصورات الأخرى التي تخالفه، ثم يأتي وكأنه المنقذ وصاحب المنهج السليم)) (45) إن نقده يمثل النقد الحديث كما مورس ابتداءً من (كانت) وكما تطور واغتنى بعده وبخاصة لدى المعاصرين بدءًا من (نيتشة) وانتهاءً بآخر المدارس النقدية

وتتمثل شخصيات النقد التفكيكي في (نيتشه) و(هيدجر) و(ميشيل فوكو) وأخيراً (جاك دريدا) ، و (جيل دولوز) إضافة إلى الذين ساهموا في تشكيل التيار البنيوي حيث مارسوا هذا النـمط من التفكير أمثال (لوي التوسير) و(لا كان) و(ليفي شتراوس) و(رولان بارت) ، وهؤلاء من المتأخرين في الثقافة الأوروبية، وأغلبهم يعيشون في مكان واحد، وبيئة واحدة، هي فرنسا، وقد تأثروا كثيرًا بالعلوم الاجتماعية الحديثة إضافة إلى علم اللغة الحديث الذي افتتحه (دو سوسير)، وكذلك يجمع بينهم إلغاء الإنسان أو إعلان موته، أو موت المؤلف، وذلك بعد أن أعلن (نيتشه) موت الله، وفي المقابل نجدهم يعلون من شأن بعض الأنظمة الفكرية واللغوية بصورة يجعلونها متحكمة في مصير البشر والفكر والمعرفة .

إذن النقد عند (على حرب) يتخطى كما يقول (حسن الاسمري) : ((نقد الفرق والمذاهب إلى نقد أصول المعرفة الإسلامية. و نقد التفاسير والشروحات إلى نقد الوحي نفسه، وذلك بالتعامل معه كمعطى يخضع للمعرفة النقدية وشروطها والفضل في افتتاح هذا النقد يعود إلى محمد أركون)) (46) يتضح من النص مدى التحول في معنى النقد الذي يتبناه (علي حرب)، وإن كان في حقيقته وجوهره يعود إلى المعنى المباشر من النقد ، وهذه ميزة وليس عيبا في قراءة (على حرب) عند الباحثة كما يرى (حسن الاسمري) : ((وهكذا يصبح (نقد النص) عبارة عن تلاعب في النص، وفيه تتم إسقاطات متنوعة من

قبل الناقد على النص، وهذه الإسقاطات تشوه النص، وتخرجه عن مقصده، وهكذا فكل إنسان، وكل فئة، وكل مجتمع، هو الذي يُنزّل على النص ما يريده هو لا ما يريده النص،

وإذا كان النشاط النقدي عبارة عن إسقاطات، وعن معانٍ في أذهان هؤلاء الذين ينزلونها على النصوص، ويحملونها ما لا تحتمله، إلا أن الباب لن يغلق أمام التلاعبات المتواصلة من قبلهم، كيف والنص عبارة عن رأسمال، يمكن صرفه في أي وقت وبأي طريقة)) (47) .

رد الباحثة على قول (حسن الاسمري) وسابقيه هو أليس النص الديني مساحة للتأويل للجميع وليس حكرا على أحد؟ وكل من يقرأ هذا النص قراءة خصبة كما وقع في العصر العباسي يكون قد خدم الإسلام. وعندما نتعامل مع النص الديني بطريقة خلاقة تترك أثرها في الناس فهذا هو المطلوب أما العكس فضار مضر. أليس كلام الله سبحانه وتعالى مليء بالمعاني والدلالات التي لا تنفذ؟ أليس لـ(علي حرب) وغيره من المفكرين الحق في وضع تفسير للقرآن الكريم وفق متطلبات العصر أم أن التفسير انتهى مـــع أصـــحاب المذاهب الأربعة (المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي) ؟ وفي هذا المجال يقول (على حرب) : ((نحن العرب مضى علينا حين من الدهر كانت لنا فيه هيمنة وسيادة وكان لنا تفوق على سائر الأمم . فبعد الحدث القرآني وبفعله تمكنا من فتح العالم والاستيلاء على معظم دوله وممالكه ، ففرضنا لغتنا وأدبنا وشريعتنا على الذين صدقوا دعوتنا ... ولقد خلعنا أوصافنا على أمم وشعوب لا تزال حتى الآن تسمي أبناءها بأسمائنا وتمارس طقوسها وشعائرها بلغتنا وآياتنا ، يومئذ قدر لنـــــا أن نعرب كل شيء ، بما في ذلك المجال القدسي والغيبي)) (48) ويقصد (على حرب) بذلك الزمن ، الزمن الذي ولد فيه الحدث القرآني الذي قلب تاريخ الجزيرة العربية رأسا على عقب ، ووصف لنا إعجابه بالإنسان العربي في ذلك الدهر والنموذج الثقافي الذي انتهجه في تعريب العالم ليحيلنا إلى النهايات والخواتيم ، أي استنفاد طاقة ذلك النموذج التاريخي الذي قدمه العرب ، مذكرا منذ زمن ما عاد يشكل الملهم أو المرجع الصالح . على هذا النحو يقارب (على حرب) حقيقة التعريب وواقعه عبر نظرة نقدية ومنهج فكري يُقارن بهما بدايات المسألة مع نهاياتها بقدر ما يشخص العلل ويبين الأسباب ، وهذا الموقف للمفكر لا يعني في نظر الباحثة أن (على حرب) ما عاد يؤمن بأي من أبعاد هويته الاجتماعية التي يذكرها في كل مرة على أنها عربية ، كما لا يعني التنظير للكف عن مطامح التعريب أو أللعنة على العروبة ، وإنما يعني منه كما تتصوره الباحثة ، تذكير الإنسان العربي بأمر في غاية الأهمية، وهو أن ثقافة المجتمعات العربية والقيم التي تحملها أو حضارة الإسلام لا تستطيع مقاومة العصور والتواريخ التي اعتادت –بفضل الحداثة الفكرية والمادية والتقنية – بأن لا تسير أو تتحرك إلا بإخضاع كل كائن أو موجود للتجديد والتغيير ، وذلك مرورًا بذوي الفكر والعقيدة أو الساسة والاجتماع أو العلم والمعرفة ، إلى تقاليد العيش وتدابير الحياة مادية كانت أو اقتصادية ، الأمر الذي يوحي لـ(على حرب) بان الإنسان العربي المعاصر لم يفلح في هذا التجديد والتغيير ولم يستوعب شروطه و مفاتيحه أو خياراته أو دلالاته ومآل ذلك الفجوة الحضارية التي حصلت بين العالم العربي والإسلامي من جهة والغرب من جهة أخرى ، هو التخلف والتأخر أو التبعية والاستسلام أو اللجوء إلى القمع والبطش أو التشبث بالتمرد والإرهاب . هذا في الوقت الذي تحتاج فيه المجتمعات العربية بشكل عام إلى إعادة النظر بمنظومة معارفها وقيمها أو بثقافاتها المعزولة والمحلية أو بأنظمتها وحكوماتها ، لترى فيها هذه المجتمعات مكامن

العيوب ومساوئ المشاريع أو مخاطر السياسات ومجازر السلطات ، إن ما يؤكد عليه (على حرب) سواء في كتابه هذا أو غيره من الكتب لا يتعدى التذكير بهذه الحقائق والأمور ، أي إلى حاجة العالم العربي إلى تأسيس منطق جديد لممارسة العروبة والتعريب ، منطق يُحترم فيه الآخر ، ويجب أن يكون ذلك بطبيعة الحال بعيدا عن التعصب والتوتر أو القمع والطمع ، وهذا ما نتفق فيه مع (على حرب).

الخاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة توصلت الباحثة إلى العديد من النتائج منها :

يتعامل (على جرب) مع النصوص على إنها مسالة واستنطاق أو حفر وتنقيب أو تحليل وتفكيك .

– استثمر (على حرب) تسعة مستويات في تحليل النص منها النصوص سواء وكينونة النص .

– لم يكن الشغل الشاغل لـ(على حرب) التركيز فقط على التراث العربي الإسلامي ، وإنما انفتح على مختلف الساحات الثقافية واعتبر نفسه معنيا بنتاجات الفكر ،أيا كان مصدرها .

ونوصي في النهاية على أن الباب سيظل مفتوحا\لدراسة مثل هذه المواضيع ، وتبني مثل هذه المناهج في بحوثهم و قراءتهم للتراث العربي الإسلامي .

الهوامش

(1) حرب (على) . الممنوع و الممتنع . ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1995 ، ص 15 .

(*) مطاع صفدي روائي ومفكر وباحث علماني ليبرالي سوري معاصر ، رَئِسَ تحرير عدة مجلات فكرية ، من رواياته المبكرة : جيل القدر . ومن كتبه : حزب البعث ، مصير الايديولوجيات الثورية ، وقد ترجم آثار الفيلسوف الفرنسي (ميشيل فوكو) .

– النابلسي (كريم) . الفكر العربي في القرن العشرين . مرجع سابق . ص 516 .

(2) حرب (على) . الممنوع و الممتنع . مرجع سابق . ص 16 .

(**) ديكارت (1596 – 1650) فيلســـــوف فرنسي اشتهر بكتابه (مقالة في المنهج) وفيه ابعد كل المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة شاكا في كل شيء إلا حقيقة واحدة وهي أنه يشك .

– منير البعلبكي . موسوعة المورد . المجلد الأول ، القسم الثاني ، مرجع سابق . ص513 .

(***) هيدجر فيلسوف الماني ، من أهم فلاسفة القرن العشرين ، خلف (هوسرل) بعد أن كان مساعده ، طبق المنهج الفينومينولوجي على مسألة الوجود ، من كتبه : الوجود والزمان ، الذي حاول فيه (هيدجر) أن يحدد علاقة الوجود بالإنسان .

– جورج طرابيشي . معجم الفلاسفة . مرجع سابق . ص694 .

(****) أفلاطون (428 – 347 ق.م) فيلسوف يوناني ، يُعد هو وسقراط وأرسطو واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية . معظم مؤلفاته محاورات عالج فيها موضوعات مختلفة كالرياضيات والسياسة والتربية ، واشهر محاورات أفلاطون (كتاب الجمهورية) .

– منير البعلبكي . موسوعة المورد العربية . المجلد الأول ، القسم الأول ، مرجع سابق ، ص107.

(*****) أرسطو من أعظم نوابغ النظر العقلي في الفكر اليوناني ، وهو مؤسس المنطق ، فقد بقي كتابه الارجانون أو الآلة على مدى ألفي سنة

مثالا لا يضاهى على ذلك العلم . كما لديه كتابات أخرى في الأخلاق وفي النفس والطبيعة .

– جورج طرابيشي . معجم الفلاسفة . مرجع سابق . ص 52 .

(3) حرب (على) . الممنوع و الممتنع . مرجع سابق . ص 16 .

(4) المرجع السابق . ص 17.

(5) حرب (على) . أوهام النخبة . ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1996 ، ص 78 .

(6) المرجع السابق . ص19 – 20 .

(******) تختلف الوقائعية عن الواقعية كما يستخدمها أصحاب المنهج الواقعي ، فهؤلاء يعتبرون أن النص نتاج الواقع الذي يتشكل فيه ، يُقرأ النص فيه بإحالته إلى وقائع فاتت و انقضت ، بمعنى أنه يُتخذ كشاهد على الحقيقة التي يطلب الوصول إليها أو البحث عنها . في حين أن الوقائعية تعني أن النص يواصل صموده إزاء الوقائع ، فالنص في هذا المنظور يشهد على نفسه و يولدّ حقيقته .

– حرب (على) . الممنوع و الممتنع . مرجع سابق . ص 19 – 20 .

(7) المرجع السابق . ص19 – 20 .

(*******) مؤتمرات الإصلاح التي عقدت في الرياض عام 2005 ، و في مدريد من نفس العام .

(8) حرب (على) . الإنسان الأدنى . ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 2005 ، ص 58

(9) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(10) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(11) المرجع السابق . ص 59 .

(12) المرجع السابق . ص 59 .

(13) المرجع السابق . ص 60.

(14) الحوار الثقافي العربي الإسلامي . سلوى بكر ، باسم الزبيدي ، محمد جوهر وآخرون . (د.ط) ، معهد العلاقات الخارجية 'ifa' المسمى "الحوار والتفاهم" ، قصر نويهاردنبرغ ، المانيا ، 2002 ، ص61 .

(15) حرب (على) . الإنسان الأدنى أمراض الدين وأعطال الحداثة . مرجع سابق ، ص61 .

(*******) معتقد اصطفائي يزين لأهله أنهم ملاك الحقيقة وخير امة وسادة الخلق و المعصومون عن الخطأ والفرقة الناجية ، منهج أصولي يقوم على عبادة النص وتقديس السلف بقدر ما يوهم أصحابه أن بإمكانهم التماهي مع الماضي واستعادته بحرفيته وحذافيره ، طرح شعار الحاكمية الإلهية لاحتكار المشروعية والنطق زورًا أو عنوة باسم الأكثرية من الناس ، استراتيجية الرفض والإقصاء للمختلف بالعمل على اتهامه ونبذه أو استبعده وإلغائه ، اللجوء إلى العنف أسلوبًا و ضش وسيلة لتحقيق الأهداف الطوباوية والمشاريع المستحيلة .

– (حرب) على . أزمنة الحداثة الفائقة . ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2005 ، ص 89 .

(15) حرب (على) . الإنسان الأدنى أمراض الدين وأعطال الحداثة . مرجع سابق ، ص62 .

(16) المرجع السابق . ص63 .

(17) المرجع السابق . ص64 .

(18) سورة البقرة . الآية 256 .

(19) سورة يونس . الآية 99 .

(********)لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا و نقضوا العهد وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرا فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع فقال لهم : احذروا ما نزل بقريش واسلموا فأنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، فقالوا : يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلي لها ، فجاء رجل منهم فحل درعها إلى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت بدت عورتُها فضحكوا منها فقام إليه رجل من المسلمين فقتله ، ونبذوا العهد إلى رسول الله وتحصنوا في حصونهم ، وحاصرهم الرسول خمس عشرة ليلة .

– ابن الأثير . الكامل في التاريخ . ط3 . دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980 ، ص96 .

(20) سورة البقرة . الآية 143 .

(21) سورة الحجرات . الآية 13 .

(22) حرب (على) . الإنسان الأدنى . مرجع سابق ، ص65 .

(23) خليل (عماد الدين) . مدخل إلى الحضارة الإسلامية . ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 2005 ، ص 184.

(24) سورة الإسراء . الآية 20 .

(25) (حرب) على . الإنسان الأدنى . مرجع سابق . ص66 .

(26) المرجع السابق . ص67 .

(27) حرب (على) . الإنسان الأدنى . مرجع سابق . ص68.

(28) المرجع السابق . ص70 .

(29) المرجع السابق . الصفحة نفسها

(30) حرب (على) . الإنسان الأدنى . مرجع سابق . ص72 .

(*********) الميمات هي الموروثات الثقافية ،كما اخترع مصطلحها العالِم الأمريكي (ريتشارد داوكنز) ، هي نظائر (الجينات) البيولوجية . فكما ان هذه تصنع أجسام البشر وتحدد هيئاتهم بانتقالها وتحولها ، عبر الأجيال فان الميمات الثقافية تشكل عقول البشر ، عبر صيرورة انتقالها وتداولها وتحولها ، سواء داخل بيئتها الأصلية أو خارجها .

– (حرب) على . الإنسان الأدنى . مرجع سابق ص 93 .

(31) المرجع السابق . ص93 .

(32) الجابري (محمد عابد) . نحن والتراث . مرجع سابق ، ص 20 .

(33) قراءة في ازمنة الحداثة الفائقة . محمود كرم . جريدة الوطن العمانية ، 2007 العدد 8629 ، ص3 .

(34) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(35) حرب (على) . أزمنة الحداثة الفائقة . مرجع سابق ، ص57 .

(36) المرجع السابق . الصفحة نفسه .

(37) المرجع السابق . ص58 .

(38) المرجع السابق . ص59 .

(39) الإنسان الادنى (نحو قـــــــراءة نقدية للمقدس و المسكوت عنه في الفكر العربي) . كرم الحلو . جريدة السفير اللبنانية ، 2006 ،

العدد 8420 ، ص4 .

(**********) ما يقصده (على حرب) بالفيروسات القاتلة احتكار مؤسسات دينية أحزابا أو منظمات للنص الديني وتأويله . و هذا ما اوضحه في مقابلة اجرتها معه قناة الجزي

(40) انظر الأختام الأصولية والشعائر التقدمية . الفكر والحدث . أوهام النخبة أو نقد المثقف .

(41) على حرب . حسين مرهون . جريدة الوقت البحرينية ، 2007 ، العدد 456 . ص8 .

(42) دريدا والفكر العربي المعاصر . احمد عبدالحليم عطية . أوراق فلسفية ، العدد 13 ، 2005 ، ص 299

(43) وقفة عند آراء العلييّن الفواز وحرب . شكيب كاظم . جريدة الوقت البحرينية ، 2007 ، العدد 458. ص10 .

(44) المثقف بين الممنوع والممتنع . سعد محمد رحيم . صحيفة المدى .

(45) موقف الاتجاه الفلسفي المعاصر من النص الشرعي . حسن الاسمري . رسالة جامعية لم تطبع بعد . ص 382 .

(46) المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

(47) (حرب) على . أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر . ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1994 ، ص86